الثورة الفكرية
في أركان الإسلام

« الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصيام ، الحج »

تأليف

د/ حسن الحيوان

تقديم

ا.د / محمـد عمـارة — المفكر الإسلامي

د/ نصـر فريـد واصل — مفتي الديار المصرية الأسبق، عضو هيئة كبار العلماء والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي

دار البشير للثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

عَـنِ ابْـنِ عُمَـرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّـدًا رَسُـولُ اللهِ، وَإِقَـامِ الـصَّلاَةِ، وَإِيتَـاءِ الزَّكَـاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

صحيح البخاري (1/ 11)

اسم الكتاب: الثورة الفكرية في أركان الإسلام
التأليف: د/ حسن الحيوان
موضوع الكتاب: فقه
عدد الصفحات: 168
عدد الملازم: 10.5
مقاس الكتاب: 14 × 20
عدد الطبعات: الطبعة الأولي
الإيداع القانوني: 2015/2879
الترقيم الدولي: I.S.B.N.978/977/278/468 /4
الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيع والنشر
دار البشير للثقافة والعلوم
مصر
darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت: 01152806533 - 01012355714

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من:

دار البشير للثقافة والعلوم

1436 هـ
2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحه الكتاب ...في كلمات

« بقلم الدكتور/ محمد عمارة »

في اليهودية- بعد موسىٰ عليه السلام تحول الدين إلىٰ عنصرية قبلية.. وإلىٰ مادية أحلت عبادة العجل الذهبي محل عبادة الله سبحانه وتعالىٰ .

وفي نصرانية بولس تحولت وصايا المسيح عليه السلام إلىٰ كهنوت خرافي، ولاهوت لا عقلاني، وتعاليم مستحيلة التطبيق ورهبانية تخاصم الفطرة، وتقضىٰ علىٰ الحياه إذا تم تعميمها، ولقد جاء رد الفعل علىٰ اللاهوت الكنسي الكاثوليكي ـ منذ النهضة الأوربية الحديثة ـ فلسفة وضعية مادية، وسياسية ميكافيلية، وعلمانية دهرية، واستهلاكية شهوانية أصبحت تهدد الحضارة الغربية بالأفول .

أما في الاسلام فإن الوسطية الجامعة- التي هي جَعْلٌ إلهي قد جعلت أركان الإسلام ـ التي تأسست عليها مدنيته وثقافته وحضارته الصيغة المثالية الجامعة بين الروح والمادة، بين الدين والدنيا، بين الدين والدولة، بين الفرد والأمة، بين الذات والآخر،

بين الدنيا والآخرة، فتكامل وتوازن فيها: كمال الشخص وألفة البيت ونظام الملك .

وتلك هي الرسالة التي يحملها هذا الكتاب الذي نقدم بين يديه ـ الصغير في حجمه الكبير في قيمته وفي المنافع والمقاصد التي يسعى إليها .

وعندما يستخدم هذا الكتاب مصطلح «الثورة الفكرية» فإنه يقول لنا: إنه ذاهب بقارئه إلى الغوص في الأعماق؛ لأن الثورة هي بلوغ الأعماق والشمول في ميادين الإصلاح، والانتقال من مرحلة تطورية إلى أخرى أكثر تقدمًا ورقيًّا.

وإذا كان هذا الكتاب يقدم «**الصورة المثالية**» للمقاصد المبتغاة من أركان الإسلام، فإنه يفتح الأبواب أمام القارئ ليصعد «**بالواقع المعين**» نحو «**المثال**» وذلك للخروج من الحال البائس الذي تتسع فيه الفجوة بين «**واقع المسلمين**» وبين «**المثال الإسلامي**»، فاكتشاف حقائق «**المثال**» حافز للسعي نحو الاقتراب من هذا «**المثال**» وتزكية للأمل ومحاربة لليأس والقنوط .

إننا أمام كتاب فيه فكر يحرك الملكات ويفجر الطاقات.. وفيه استخدام للحقائق العلمية في البرهنة على الحقائق الدينية والروحية.. وهو منهاج إسلامي أصيل برئت به حضارتنا من الخصام النكد ـ الذي يستشري في الغرب بين العلم والدين .

كما نجد فيه إبرازًا للمقاصد العليا للشعائر والعبادات، وتطلعًا لإدراك أعماقها اللانهائية ابتغاءً لاكتشاف الكنوز الروحية، والعملية في هذه الشعائر والعبادات.

وفى كثير من المواطن التي يعرض فيها هذا الكتاب لفقه آيات من القرآن الكريم بغية الاستشهاد بها، نراه يكشف للقارئ أسرارًا في هذه الآيات تجعله وكأنه يطَّلع عليها للمرة الأولى .

وفى هذا الكتاب صدق ينمي ويزكي لدى القارئ قيمة الإخلاص التي هي الشرط الأول لصلاح الفكر، وتأثير الكلمة ونفاذ الدعوة، والاستثمار الأجود للشعائر والعبادات .

كما نجد فيه توظيفًا أمثل للقواعد الشرعية والفقهية؛ كي تكون ركائز في بناء المشروع الحضاري الإسلامي، فصلاة الجماعة تصبح نواة للاجتماع والمجتمع والنظام والتنظيم: وكذلك كل الشعائر والمناسك في أركان الإسلام .

والموعظة في هذا الكتاب تتجاوز ترقيق القلوب لتشمل أيضًا- إيقاظ العقول وبهما معًا يكون التوازن في الثقافة والسلوك للأفراد والمجتمعات .

وفى هذا الكتاب نجد أنفسنا أمام فقه حضاري لأركان الإسلام يزامل الفقه الروحي لهذه الأركان على النحو الذي يجعل الإسلام متفردًا في تحقيق السعادة الحقة في المعاش والمعاد جميعًا .

كما يكشف هذا الكتاب بالمقارنات الذكية عن المميزات الروحية والعملية لمنهاج النظر والعمل الإسلامي في مقابل منهاج النظر والعمل في الاستهلاكية الشهوانية للعلمانية الغربية على النحو الذي يحصن المسلم؛ كي لا يتجرع الكأس العلماني المسموم الذي تجرعه الغربيون .

وإذا كان التواصي بالحق لابد له من التواصي بالصبر فإن هذا الكتاب يأخذ بألباب القراء إلى اكتشاف الآثار التي تفتحها العبادات الإسلامية أمام المسلمين في ميادين تربية الإرادة الإنسانية على النحو الذي يفجر في الإنسان الملكات والطاقات التي تجعله ـ وهو الجرم الصغير ـ العالم الأكبر، والتي تجعل الأشعث الأغبر إذا أقسم على الله لأبره الله.

ويزيد من أهمية هذا الكتاب ـ فوق هذه الميزات والمميزات ـ أنه فاتحة مشروع فكري متكامل وَعَدَ بِهِ كاتبه.. ندعو المولى ـ عز وجل ـ أن يوفقه إلى إخراجه إلى حيز الفعل في وقت قريب، إنه ـ سبحانه ـ خير مسئول وأكرم مجيب.

أ.د. محمد عمارة

تقديم الدكتور نصر فريد واصل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمـد لله رب العـالمين والـصلاة والـسلام علـىٰ أشـرف المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين بدين الإسلام، الذي جاء سلامًا وأمنًا وأمانًا لكل خلق الله أجمعين إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فـإن الإسـلام كـدين سـماوي نـزل وحيًـا مـن الـسماء عقيـدةً وشـريعةً لجميع الرسل والأنبياء؛ لتحقيق الهدف الأسمىٰ من خلق الله الجن والإنس وكل الكائنات في هذه الحياة الدنيا، وهو العبادة الخالصة لهذا الخالق العظيم وحده وهو الله سبحانه وتعـالىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾(1).

وقـال تعـالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾(2)

(1) سورة الذاريات: ٥٦ – ٥٨ .

(2) سورة الإسراء: ٤٤ .

وإن الهدف العام من مشروعية العبادات في الإسلام هو تحقيق شرع الله وتنفيذه في خلقه جميعًا كما أمر وأراد سبحانه.

وذلك بالخضوع له في كل ما أمر به تنفيذًا، والابتعاد عن كل ما نهىٰ عنه سبحانه، سواء كان ذلك يتعلق بالعبادات أو السلوك البشري والمعاملات، ويدل علىٰ ذلك المفهوم العام سياقُ الآيات الكريمات السابقة علىٰ هذ الترتيب والتنسيق الذي خاطب الله به العباد.

وأما الهدف الخاص من مشروعية العبادات في الإسلام فهو إحياء الدين، والدين عند الله الإسلام تصديقًا وتحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾.(1)

وإحياء هذا الدين الإسلامي لا يتم إلا من خلال تنفيذ تشريعاته وتطبيقها تطبيقًا عمليًا في حيز الوجود البشري والإنساني لتحقيق الهدف المنشود من خلق الإنس وهو الاستخلاف الذي جعله الله للإنسان وحده في الأرض من دون بقية عباده المكلفين لعمارة الأرض التي خُلِقَ منها ويَحَيا بنعم الله فيها، وذلك بقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(2). وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(3) .

(1) سورة آل عمران: 19 .

(2) سورة البقرة: 30 .

(3) سورة هود: 61

وهـذا المفهـوم العـام والخـاص الـذي سبق بيانـه للعبـادات في الإسلام لا يتعارض مع قـصر العبـادات في كتـب الفقـه الإسـلامي عند الفقهاء علىٰ أركان الإسلام فقط، وما يتـصل بهـا مـن أحكـام؛ لأن هذا اصطلاح فقهي عند الفقهاء أرادوا به العبـادة الخالـصة في الإسـلام التـي تكـون النيـة شـرطا في صـحتها وأدائهـا وإجزائهـا في القبـول عنـد الله وإبـراء الذمـة فيهـا، وذلـك للتفريـق بـين الأفعـال البشرية المكلف بها المكلفون من العباد من كونها حقا خالصا لله، أم حقا للعباد، ولهـذا كـان الإيمـان بـالله والاعـتراف بـه والإشـهاد علىٰ ذلك الإيمان باللسان- في حيز الوجود بالقول والعمـل- مـن ضـمن العبـادات في الإسـلام وأول أركانـه الخمـس، مـع أن ذلـك يتعلق بأصل العقيدة الدينية للإسلام وهو الاعتقاد الباطني الجازم الذي هو أصل الإيمان عند الإنسان، يدل علىٰ ذلـك قولـه تعـالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[1]. فقـــد ربـــط الله ســـبحانه وتعالىٰ في الآية الكريمة بين العبادة التـي أمرنـا بهـا سـبحانه، وبـين عـدم الإشـراك بـه؛ حيـث لا تتحقـق العبـادة لله إلا إذا خلـت عـن التـشريك فيهـا لغيـر الله سـبحانه، بـأن تكـون خالـصة لله وحـده لا يشاركه فيها أحد ولوكان ملكا مقربًا أو نبيًا مرسلًا.

وهذا كله يتعلق بأصل الإيمان وهو العقيدة في الإسلام، ويدل

---

(1) سورة النساء : 36 .

علىٰ ذلـك أيـضًا قولـه سـبحانه وتعـالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ﴾ ﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

فقد ربط الله سبحانه وتعالىٰ في الآية الكريمة بين الإيمان والعمل والعبادة برباط وثيق، وجعل تحقيق الإيمان والعمل في نفس العبادة، وجعل تحقيق العبادة في تحقيق الإيمان بالله، وهذا لا يتم إلا عند عدم الإشراك بالله علىٰ وجه اليقين في جميع الأقوال والأفعال والأحوال.

ولذا فقد ارتبطت العبادات عمومًا في أصلها ومفهومها العام والخاص بأصول الإسلام وأركانه، وهي الأصول الخمسة التي يبنىٰ عليه الإسلام الشهادتين: شهادة ألا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج لمن استطاع إليه سبيلا.

ولما كان الإسلام كعقيدة وشريعة أي كنظام عملي وتشريعي كامل- يحقق العبادة لله وحده، واستخلاف الإنسان علىٰ هذه الأرض لا يتحقق إلا بكليات ضرورية خمس لضمان استمرار الحياة وتلك الخلافة الأرضية للإنسان إلىٰ أن يشاء الله،

---

(1) سورة النور: 55.

وهي: «**الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال**»، وكانت هذه الكليات الخمس لا تتحقق علىٰ وجه التمام والكمال لتحقيق الغرض المقصود منها لصالح العباد والبلاد إلا من خلال تشريع الدين الإسلامي نفسه، فقد اعتبرت هذه الكليات الخمس الضرورية للحياة من ضمن ضروريات تحقيق العبادة الشرعية علىٰ وجهها الكامل والصحيح في الإسلام.

هذا:

وإن كتاب «**الثورة الفكرية في أركان الإسلام**» لكاتبه الدكتور حسن الحيوان جاء مبينًا وموضحًا لكل ما أشرنا إليه بإيجاز في هذه المقدمة لهذا الكتاب الذي استلهم المؤلف عنوانه من الإسلام عقيدةً وشريعةً، الذي جاء في كل تشريعاته الثورة ضد الشرك والظلم والطغيان، وعبادة الإنسان للإنسان، والعمل علىٰ تحقيق الكرامة الإنسانية والعدالة لكل بني الإنسان.

وهذا الكتاب يعد زادًا علميًا لا غنىٰ عنه لكل باحث أو طالب إسلامي، حيث جاءت أصوله العلمية والشرعية موثقةً بمصادرها الصحيحة الْمُعَوَّلُ عليها في مجال البحوث الشرعية والإسلامية عند علماء الشريعة الإسلامية.

ندعو الله سبحانه وتعالىٰ أن يحقق الهدف المقصود منه في خدمة الدعوة الإسلامية والإسلام والمسلمين في كل مكان، وأن

يجزي مؤلفه خير الجزاء علىٰ ما قدَّمه من جهد في خدمة العلم والدين الإسلامي، إنه نعم المولي ونعم المجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

الدكتور/ نصرفريد واصل

مفتي الديارالمصرية الأسبق

عضو هيئة كبار العلماء

والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي

❀ ❀ ❀

المقدمة
الثورة الوحيدة ذات التعاليم الإلهية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد خاتم النبيين والمرسلين، وعلىٰ الأنبياء والرسل أجمعين.. وبعد،

«**الثورة**» ما هي إلا هجرة مما كان إلىٰ ما لابد أن يكون، والمثال العظيم علىٰ ذلك يتجسد في هجرة رسولنا ﷺ التي لم تكن مجرد هجرة من مكان إلىٰ مكان، بل كانت أعظم نقله نوعية حضارية عرفها التاريخ.

وفي هذا السياق يأتي ذكر الثورة المصرية، وقبلها الثورة التونسية، وبعدها الثورة الليبية، واليمنية..إلخ، باعتبارها تمثل- جميعًا- أكبر حدث حضاري في العصر الحديث بالمنطقة العربية، وذلك باعتراف ساسة العالم، ومفكريه.

لقد كانت الثورة العربية قرارا شعبيًا بالتصميم علىٰ المُضي قدمًا في إحداث التغيير السلمي الشامل للنظام الحاكم طلبا لقيم الحرية والعدل والكرامة، واستهدافًا لتحقيق التنمية، والعدالة، والنهضة.

ولأن المجتمع هو الذي يقوم بالنهضة، وليس أحد آخر، فلابد من أن يتوافق مشروع النهضة مع هوية المجتمع الإسلامية وثقافته، الأمر الذي يستلزم حدوث ثورة معرفية وعلمية شاملة في مجالات الحياة كافة.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بثورة فكرية جذرية تطبيقية في فهم وتطبيق منهج الإسلام، ورسالته الخالدة، وهنا تمثل أركان الإسلام المدخل إلىٰ تلك الثورة الفكرية.

والحقيقة هي أن الإسلام ثورة – أصلًا – بل هو الثورة الأكثر تأثيرًا إيجابيًا في التاريخ الحضاري الإنساني كله، باعتراف مفكري العالم، أنها الثورة الوحيدة ذات التعاليم الإلهية.

إن الإسلام يمثل ثورة تغيير جذرية لكنها ثورة إصلاحية أحيانًا، وفي أحيان أخرىٰ تترك الواقع كما هو، فهي ليست ثورة لتصفية حسابات مع العهد القديم الذي ثارت عليه، لا من حيث الأفكار، ولا الرموز، ولا الزعامات ، ولا هي ثورة لتنصيب قيادات جديدة أو تحصيل مكتسبات شخصية، بل هي ثورة، الهدف منها نهضة الإنسانية. والأمثلة أكثر من أن تُعد أو تُحصىٰ علىٰ ذلك في المنهج النبوي لإدارة مصالح العباد والبلاد.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[1].

إن حياة المسلم في الدنيا هي الممر، والدار الآخرة هي المقر، وإن أهمية الممر تنبع من أهمية المقر، فاستهداف الفوز بالدار

(1) سورة الإسراء:70 .

الآخرة يستوجب بالضرورة تحقيق الأمة الإسلامية للتقدم والنهضة في الدنيا، وكذلك تحقيقها لقدوة حضارية تسترشد بها سائر أمم الدنيا.

فالأمر الإلهي بالاستخلاف البشري واضح في آيات القرآن الكريم. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(1). فالمسلم خليفة المولىٰ عز وجل في الأرض من أجل إعمارها وفقا للمنهج الإسلامي الذي يشمل مناحي الحياة كافةً.

قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(2)، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾(3).

ومن البديهي أننا- أمة وأفرادا- لابد من أن نعمل علىٰ تحقيق مراد الله سبحانه فينا للاستخلاف في الأرض، وإعمارها، وهداية البشرية، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(4).

فنحن أمة أُخرجت للناس كافة، وليس لأنفسنا فقط، ولكن

---

(1) سورة البقرة :30 .

(2) سورة الأنعام : 36 .

(3) سورة النحل :89 .

(4) سورة آل عمران : 110 .

هناك بَون شاسع بين الأصل والواقع، فالحقيقة أن الأمة الإسلامية لا تمتلك- فقط- كل مقومات القوة وتحقيق التقدم، والنهضة في الدنيا، كما سجل التاريخ على مدى قرون تسعة خلت، بل تتميز أيضًا بأنها الأمة الوحيدة التي تمتلك هذه المقومات، في حين أن الواقع الحالي يشير إلي العكس من ذلك تمامًا.

فالحق تعالى يقرر: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1]. أي أن القرآن لا يهدي فقط للمنهج القويم، بل الأقوم والأصلح والأنفع والأشمل، في حين أن واقع الأمة اليوم بالمقارنة بالعالم المعاصر يؤكد أنها الأجهل علميًا، والأفقر اقتصاديًا، والأضعف سياسيًا، والأوهن عسكريًا، وعليه فالبَون الشاسع بين حقيقة أو أصل المنهج الإسلامي، وواقع أمته الآن، واضح وضوح الشمس في رابعة السماء.

أما على مستوى الفرد، فالمسافة أيضًا واسعة من حيث الإقبال الكبير على الالتزام بأداء الأركان الخمسة للإسلام والعبادات، كشعائر محضة دون أن نجد لذلك انعكاسًا فاعلًا في الحياة العملية له.

---

(1) سورة الإسراء:9 .

فعلـىٰ سـبيل المثـال نلحـظ عـدم الاهتمـام في إطـار الواجـب الـشرعي بقـضايا «**العلـم**»، و«**العمـل**»، و«**الـشأن العـام**»، و«**أسـباب تراجع أحوال الأمة**»، فضلا عن عدم الالتزام بالأخلاق والأمانـة في المعاملات.

وبشكل عام، يغيب دعم توجهات المنهج الإسلامي، ومقاومة التوجهات المخالفة لـه اقتـصاديًا واجتماعيًـا وثقافيًـا.. عـن واقـع المسلمين اليوم.

لهذا لابد من أن تكون أسباب هذا الخلل الكبير بين أصل الأمة وواقعها وأفرادها.. أسـبابًا شـاملةً وعميقـة، لـيس فقـط مـن حيـث النضج والعمق الفكـري في فهـم رسـالة الإسـلام كعقيـدة وشريعة، كـدين وحـضارة، بـل أيـضًا مـن حيـث التطبيـق الفعلـي لقـيم هـذه الرسالة، ومبادئها علىٰ الأرض، مع استيعاب تطورات العـصر في شتىٰ مجالات الحياة.

والأمـر هكـذا، نكتفـي في هـذا الكتـاب بـالتركيز علـىٰ الأركـان الخمسة للإسلام من حيث إنها بموجب الآيات القرآنية لابد من أن تمثل الوسيلة والهدف في الوقت نفسه، الوسيلة الدنيوية والهـدف الأخـروي في إطـار الـترابط الواجـب شرعًـا بـين النجـاح في الـدنيا والفـوز في الآخـرة، قـال تعـالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ

ﭐلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[1].

فالتقوىٰ في الآية الكريمة تمثل الهدف من الصيام، كما تمثل الزاد أي الوسيلة في هذه الآية عن الحج: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾[2].

وحيث إنه لا هدف بدون وسيلة، ولا وسيلة بدون هدف، يتأكد الترابط بين أركان الإسلام في كونها تمثل أهدافًا إيمانية روحية بأداء العبادة، وإسقاط الفريضة للفوز بالجنة، كما أن الأركان أيضًا لا بد من أن تمثل وسائل عملية مادية لتحقيق التقدم والنهضة في الدنيا.

والعظمة القرآنية مبهرة للنفوس والعقول إذ إن الآية الأولىٰ لم تشر إلىٰ «**أولي الألباب**»، نظرًا لسهولة فهم أن هذه الأركان تمثل أهدافا إيمانية وروحية، في الوقت الذي تشير فيه الآية الثانية إليهم؛ تأكيدًا لحقيقة أن استراتيجية المنهج الإسلامي تتخذ الأركان وسيلة لتفعيل الحياة، في إطار حتمية ربط العقيدة الأخروية بالشريعة الدنيوية.

---

(1) سورة البقرة: 183 .

(2) سورة البقرة : 197 .

من كل مـا سـبق نـستخلص شـعارنا- في هـذا الكتـاب- وهـو أن الأركـان الخمـسة للإسـلام تمثـل للمـسلم الـواعي «**فريـضة دينيـة، وضرورة دنيوية**» لتحقيق نجاحه، وسعادته في الدنيا والآخـرة، علىٰ أمل أن نستهدف- إن شاء الله تعـالىٰ- تبنـي المـنهج نفسه «**العلمـي والعملـىٰ**» في تناولنـا بقيـة قـضايا الإسـلام والأمـة، بكتـب أخـرىٰ مقبلة، باعتبارها تستوعب مجالات الحياة كافة.

❀ ❀ ❀

الشهادتـــان

الرؤية الاستراتيجية
لتفعيل منظومة الحياة

الركن الأول: الشهادتان
الرؤية الاستراتيجية ... لتفعيل منظومة الحياة

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

عند الحديث عن الركن الأول للإسلام، ألا وهو الشهادتان، لابد من توضيح أننا- ابتداءً- بصدد ثلاثة مستويات من الكائنات: أولًا: الجماد، وهو «**الجسم فقط**»، وثانيًا: الكائنات الحية من غير الإنسان «**جسم، وروح**»، وثالثًا: الإنسان، وهو:«**جسم، وروح، وعقل**».

وحيث إن العقل أساس الحياة الإنسانية، وأساس التميز الإنساني عن بقية الكائنات فهو أيضًا أساس التكريم الإلهي للإنسان، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[2].

ولا تستقيم هذه المعادلة الإلهية إلا إذا كان هناك منهج إلهي يعيش الإنسان المسلم به، ومن أجله، ويلتزم فيه بمبادئ وتعاليم

(1) سورة محمد: 19 .

(2) سورة الإسراء:70 .

هذا المنهج، وعلي هذا الالتزام تكون حقيقة الثواب والعقاب في الدار الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (1).

وحيث إن الاستجابة تمثل رد الفعل الإنساني فلا بد أن يكون هناك - أولًا- فعل إلهي، وهو منهج الإسلام من الخالق للمخلوق، نحيا به، وله «**لما يحييكم**».

وبلغة العصر والمنطق أيضًا، لا أعلم أي منهج بشري إلا وله مدخل أساسي، ورؤية استراتيجية، فما بالكم بالمنهج الإلهي الذي يمثل التوازن والعدل والتفعيل الحضاري بين التكريم والتكليف!؟

لذلك **لا تمثل الشهادتان الركن الأول فقط من أركان الإسلام، كما هو معلوم الآن، بل لابد من أن تمثل الشهادتان أيضًا المدخل الأساسي لمنهج الإسلام والرؤية الاستراتيجية التي تجمع بين أركان الإسلام في إطار منظومة حضارية متكاملة متلازمة كأسلوب ومنهج حياة، «لما يحييكم»** يستهدف تحقيق التقدم والنهضة للفرد والأمة الإسلامية في جميع المجالات، وتحقيق قدوة حضارية لهداية سائر أمم الدنيا، فضلًا عن أنه لابد من أن يستهدف الفوز بالآخرة.

(1) سورة الأنفال: 24 .

وبدون ذلك لا يستقيم معنىٰ ومدلول الحديث النبوي الشريف: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [1] ، وفي رواية « **مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[2].

كما لا تستقيم حينها الرواية عن الشخص الذي شهد بالشهادتين، ودخل القتال، واستشهد، وشهد الرسول ﷺ بأن الجنة له بدون صلاة، ولا صيام، ولا زكاة، ولا حج.

- إن «**أشهد أن لا إله إلا الله**».. شهادة تمثل عقيدة التوحيد، ألا نعبد إلا الله، فلا عبادة لأحد سواه.. والشهادة الثانية «**أشهد أن محمدا رسول الله ﷺ**» هي ألا نعبد الله إلا بما شرع الله، وفقًا للتطبيق العملي الذي أقره رسول الله ﷺ.

لذلك نجد أن العمل المقبول في الإسلام له ركنان هما: «**النية والشرعية**»، بما يؤكد مفهوم «**الثنائية**».. النية: أن يكون العمل خالصًا لله تعالىٰ فقط وفقًا لعقيدة التوحيد التي تتمثل في الشهادة الأولىٰ.

والشرعية: أن يكون العمل علي سنة رسول الله ﷺ التي تتمثل في الشهادة الثانية، مما يعني أن «النية والشرعية» هما أساس الفوز في الدنيا والآخرة، بمعنىٰ مفهوم الثنائية بين الشهادتين، والثنائية

(1) أخرجه أحمد في «المسند» (36/ 329)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
(2) صحيح : أخرجه ابن حبان (1/ 430) ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (5/ 470 رقم 2355).

بـين النيـة والـشرعية وصـولًا للفـوز بتحقيـق الثنائيـة الحـضارية الأبدية بين الدنيا والآخرة.

وبالتالي، فالشهادتان تعنيان وتؤكدان فكرة الثنائية التي ينفرد بها الإسلام عن الكتب السماوية السابقة فضلا عن المناهج البشرية.. إنها الثنائية الإسلامية، وليس الأحادية العلمانية [1]؛ لضرورة الجمع والتوازن.. بين الفكرتين المتقابلتين في كل المجالات: بين التكريم والتكليف، الروحية والمادية، الإيمان والعمل، النية والشرعية، العقل والنقل، الثوابت والمتغيرات، المطلق كأهداف وغايات،

(1) المقصود بالعلمانية: هو الفصل بين الدين ومجالات الحياة (**أو الفصل بين الدين والسياسة فقط**)، وهي بالانجليزية (secularism)، وهو المفهوم المعترف به عالميا، فالعلمانية تعني بالانجليزية بحسب القواميس اللغوية (**لا ديني**). والعلمانية مصطلح مستورد من الغرب، وغريب على ثقافتنا العربية الإسلامية، ولم يظهر في مجتمعاتنا إلا منذ نحو 200 عام فقط عند بداية التغريب الثقافي المتعمد والممنهج لها.

أما القول بأن معني فصل الدين عن مجالات الحياة أو عن السياسة- فقط- يمثل العلمانية الشاملة المتطرفة، وأن هناك ما يُسمى بالعلمانية الجزئية التي تحترم القيم والمبادئ الإسلاميه، فسيؤدي إلى أن تكون هذه العلمانية الجزئية جزءا من فكر ومنهج الإسلام، ولذلك فهي لا تمثل إلا اختراعات لمسميات ومصطلحات لا تتعارض مع الإسلام ولا تضيف له شيئا.. مما يؤكد أننا كمسلمين لا نحتاج، لا إلى العلمانية الشاملة، ولا إلى العلمانية الجزئية.. فكلاهما غير موجودة لا في قاموس حضارتنا ولا في منهج حياتنا.

وعلى العموم، فهذا الأمر لا يدخل في نطاق هذا الكتاب؛ لأننا سنتصدي له في كتاب خاص، بإذن الله، عن الإسلام والعلمانية.

والنـسبي كوسـائل وتطبيقـات، الرجـل والمـرأة اجتماعيًـا، الفـرد والمجتمـع، سياسـيًا واجتماعيًـا، الملكيـة الفرديـة الخاصـة وملكيـة المجتمع والدولة العامة اقتصاديًا.. وهكذا.

وهكذا.. وصولًا لضرورة وحتمية الجمع والتـوازن بـين الـدنيا والآخرة، وهو السبيل الوحيد للوصـل بـين الخـالق والمخلـوق.. وهي أهم قضية علي وجه الإطلاق، في الدنيا والآخرة.

أمـا «**الأحاديـة العلمانيـة**» فتعنـي التكـريم بـلا تكليـف، الماديـة والعمل بلا روحية وإيمان، والعقل بلا نقل.. كما تعني المتغيرات النسبية البشرية بلا ثوابت ومطلقات إلهيـة [1]. نظريـة الـصراع بـين

(1) المعلـوم : إن وجـود مفهـوم المطلقـات الثابتـة هـو أسـاس وجـود مفهـوم المتغيرات النسبية ، فالنسبي شئ منسوب إلـي شـئ ثابـت أو مطلـق ، وإلا فـلا وجود لهذا الشئ النسبي بدون وجود الشئ الثابت المطلق .
فـنحن نقـول مـثلًا 70٪ (**سـبعون في المائـة**) يعنـي الـسبعين « وهـو النـسبي » منسوب إلي المائة « وهـو الثابـت المطلـق » ، وهكـذا وبالتـالي : هـذه القـضيه تمثل أمرًا بديهيـًا منطقيـًا ضروريـًا لا خلاف عليه ، ولا يحتمل وجهات نظر ، ولا يمثل أمرًا فكريـًا يحتمل الاختلاف عليه .
أمـا المثقفـون والمؤلفـون المخترعـون الـذين ينـادون دائمـًا بأنـه لا وجـود للثوابت ، ولا للمطلقات فيحتاجون إلىٰ مراجعة النظر بشأن فهم واستيعاب أمـور المنطـق والبـديهيات قبـل الـدخول في مجـالات الفكـر ، وتوجيـه العبـاد والبلاد لما ليس له معنىٰ .
ويجب التنبيه هنا إلىٰ أن محاولة فهـم الإسـلام كـدين وحـضارة ، ولـيس فقـط كدين ، كفيل بالقضاء علىٰ هذا التناقض .

الرجل والمرأة، وكذلك تغليب الملكية الخاصة علىٰ الملكية العامة، بالرأسمالية أو العكس بالشيوعية [1].

وهكذا وصولًا للفصل بين الدنيا والآخرة، استهدافًا للدنيا فقط، إذ لا يوجد أصلًا اعتقاد في حقيقة الثواب والعقاب بالدار الآخرة.

ومن المهم جدًا أن نحدد أنه لابد لكل إنسان من الاختيار الحر بمحض إرادته بين الاتجاهين الفكريين: إما الثنائية أو الأحادية، إما الجمع بين الدنيا والآخرة، بالإسلام أو اختيار الدنيا فقط بالعلمانية.. إما الإسلام أو العلمانية، حيث لا يوجد علىٰ هذا المستوىٰ الفكري الاستراتيجي أي احتمال أو اختيار ثالث.

أما ما يُسمىٰ من مسميات أو مصطلحات أخرىٰ مثل: قومية أو

---

(1) انهارت الشيوعية فجأة بدون مقدمات بانهيار الاتحاد السوفيتي ، ونحن نؤكد حتمية انهيار الرأسمالية بانهيار متوقع « **مفاجئ أو غير مفاجئ** » للولايات المتحدة الأمريكية . . الانهيار الذي بدأ بالفعل في الجانب = الاجتماعي بتفكك الأسرة ، وقطع الأرحام ، والشذوذ الجنسي ، وزواج الشواذ ، وغيرها من المظاهر المُشاهدة .

الانهيار الاقتصادي للرأسمالية بدأ أيضـًا ، بفشل نظرية العلمانية الاستهلاكية في إدارة اقتصادات السوق ؛ الأمر الذي تجسد في الأزمة المالية والعقارية العالمية التي حدثت في أواخر القرن الماضي ، بسبب انعدام التوازن بين المتقابلات : « **المادية والروحية** » ، و« **الفرد والمجتمع** » ، في الرؤية الأحادية العلمانية للحياة .

ليبرالية أو يسارية أو خلافه، فكلها مسميات لمسارات فرعية لابد أن تكون كل منها إما تابعة للإسلام أو تابعة للعلمانية.

وهذا الاختيار حتمي بدهي طبيعي، حتىٰ لو لم يتعمده كل إنسان، فهو- بطبيعة الحال- يسير به في حياته، بكل مجالاتها تحت مظلة وتوجيه.. إما الإسلام أو العلمانية.

ولذلك فالشهادتان تمثلان هذا الاختيار الاستراتيجي كمدخل ورؤية، توجه وتحدد أسلوب وأهداف الإنسان المسلم في كل مجالات الحياة، أهم اختيار علي وجه الإطلاق في الدنيا والآخرة.

والشهادتان هما الرؤية الفكرية، والآلية الاستراتيجية العلمية والعملية اللازمة لتفعيل منظومة أركان الإسلام كوسائل وأسلوب وأهداف للحياة في كل المجالات.. وذلك كالآتي:

1- **الشهادتان**: وهي رمز للرؤية والمنهج الإسلامي مرة واحدة في العمر كاختيار، ومدخل استراتيجي، ثم مرات غير محدودة في أثناء مسيرة الحياة اليومية تذكيرًا روحيًا وتأكيدًا ماديًا وتفعيلًا عمليًا لهذا الاختيار المبارك في كل مجالات حياة الإنسان المسلم.

2- **الصلاة**: وهي رمز للصلة بالخالق، الصلة الفردية بالمولي سبحانه وتعالىٰ «مجال تنظيمي سياسي اجتماعي».. خمس مرات يوميًا.

3- **الزكاة**: وهي رمز للصلة بين الانسان وأخيه الإنسان، نظام مستمر متكامل «**مجال اقتصادي تكافلي اجتماعي**».

4- **الصيام**: رمز للدعم التطبيقي للمسلم؛ لتمكينه من الالتزام بالمنهج الإسلامي، شهر كامل في كل عام «**مجال تربوي.. مركز تدريب يؤسس لثقافة المقاومة لدعم نجاح المسلم في كل مجالات الحياة المذكورة**».

5- **الحج**: رمز للوحدة الثقافية والحضارية للأمة الإسلامية مرة واحدة في العمر. «**مجال ثقافي سياسي اجتماعي**».

ويجب التذكير هنا بأن: المحور والبعد الاجتماعي هو الأساس المشترك بين كل الأركان الخمسة؛ لأن العمق الاجتماعي هو غاية المراد من الرؤية الإسلامية الحياتية.. «**لما يحييكم**».. لعامة البشرية.

أخيرًا: إن أساس أمراض العالم الإسلامي الآن هو الفصل بين العبادات والإيمانيات من ناحية، ومجالات الحياة العلمية والعملية كسلوك ومعاملات من ناحية أخرىٰ، في حين أن هذه الأركان والعبادات لابد أن تغرس في ضمير الإنسان المسلم روح التقوىٰ، التي لابد أن تمثل الوسيلة والهدف معًا.

تلك التقوىٰ التي تفجر الطاقات الإنسانية الروحية والمادية الحياتية اللازمة للفرد وللأمة؛ لتحقيق التقدم والنهضة علي

الأرض، وبدون ذلك تصبح الحياة بالنسبة للمسلمين نهرًا من المياه، المياه التي تمثل أساس الحياة.. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

إنه نهر لا يسبح المسلمون فيه بل يغرقون فيه، ولا سبيل للنجاة من هذا الغرق إلا بتفعيل أركان الإسلام، ليس فقط كأهداف روحية إيمانية أخروية، بل أيضًا كوسائل وأسلوب حياة: ماديًا عمليًا دنيويًا، وذلك كما سيأتي شرحه في أبواب هذا الكتاب.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[3].

❀ ❀ ❀

---

(1) سورة الأنبياء:30 .

(2) سورة الأنعام: 162 – 163 .

(3) سورة الأنفال: 24 .

الصـــلاة

الصلة الشاملة بالخالـق
النجاح والسعادة
فى الدنيا والآخرة

الركن الثاني: الصـــلاة
الصلة الشاملة بالخالق
النجاح والسعادة فى الدنيا والآخرة

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (1)

«**الصلاة**».. ما أعظم هذه الكلمة التي أُقيمت علىٰ أساسها أمة بأكملها، فهي صلة كلها: صلة بين العبد وربه، وصلة بين المسلم وأخيه المسلم «خصوصًا لدىٰ أداء صلاة الجماعة»، وهي: عبادة روحية، مادية وفكرية، ذهنية واجتماعية، سياسية وتنظيمية، إدارية ورياضية، صحية وثقافية، يؤديها المسلم طاعةً لله سبحانه وتعالىٰ؛ امتثالًا لأوامره، وسببًا عمليًا لرقيه ونهضته، في دنياه وأُخراه، بمقدار خضوعه وخشوعه لربه، وحضور قلبه- روحًا-، مع وعيه وتركيزه- عقلًا.

يكفي الصلاة أنها أول ما يُسأل عنه العبد المسلم يوم القيامة عند الحساب؛ لأنها عماد الدين، وأساس الصلة بين الخالق والمخلوق، وكذلك تمثل «**صلاة الجماعة**» أهم أسس الصلة بين المسلمين؛ لتحقيق التقدم والنهضة علىٰ الأرض، كما سنوضح ذلك لاحقًا.

---

(1) سورة الروم: 31 .

وبالمعنىٰ المادي العملي تُعد الصلاة الرصيد المتاح للمسلم في الرصيد الإلهي، إن شاء أخذ منه بغير حساب؛ لأن الله تعالىٰ يعطي من يشاء دون حساب، وإن شاء - المسلم - ضل عنه، وخسر هذا الرصيد، والعياذ بالله.

ما زالت الصلاة تجسد «**الكنز الاستراتيجي**» للمسلم في الدنيا والآخرة، ولا يكفي في بيان ثمرتها ونفعها كلام ولا شرح- مهما كان- من علماء ومفكري العالم.. أجمعين.

فالصلاة هي التأكيد العملي الفعلي علىٰ الصلة والتعاقد المبرم بين الخالق والمخلوق، من خلال قراءة «**الفاتحة**»، لدىٰ أداء المسلم للصلاة يوميًا سبع عشرة مرة، في الفروض الخمسة فقط.

وفي قول العبد بين يدي الله: «**إياك نعبد وإياك نستعين**».. تعاقد حضاري شامل، حيث نعبد المولىٰ سبحانه: عقيدة وشريعة، بإقامة الأركان والفروض الواجبة، وكذلك باتباع منهجه- عز وجل- في شتىٰ مناحي الحياة، في مقابل الاستعانة بالمولىٰ- سبحانه - في اليسر والعسر، وفي كل الأحوال.

ولابد أن يكون أساس هذا التعاقد الأبدي المبارك- النجاح في كل مجالات الدنيا تبعًا لمنهج القرآن والسنة النبوية، ثم بعد ذلك النجاح والفوز بالدار الآخرة.. كما نؤكد دائمًا في هذا الكتاب.

فإذا كنا نعبد المولي- سبحانه- الذي «**ليس كمثله شيء**» مقابل الاستعانة به سبحانه، فهذا يعنىٰ علاقة متبادلة من خلال مسارين من الأخذ والعطاء بين الخالق والمخلوق.

* **والسؤال هنا:** كيف وصل جبروت بعض الحكَّام والطغاة إلىٰ درجة وضع العلاقة بين الحاكم والمحكوم في مسار واحد من الاستبداد والفساد؛ حتىٰ يصل الأمر إلىٰ هلاك البلاد، والعباد..

* **وسؤال آخر:** ما الذي جعل السلبية ذائعة بين شعوب المسلمين حتىٰ تركت هؤلاء الطغاة عقودًا من الزمان في الحكم، أسسوا في خلالها شبكة من المنتفعين الذين دعموا- بابًا للثورات المضادة، بالرغم من أن القرآن الكريم يؤكد التلازم الوثيق بين الطغيان « وهو الاستبداد»، والفساد؟

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢﴾ (1)

بينما إذا أُديت صلاة الجماعة علىٰ الوجه الأكمل: روحيًا وماديًا، كما سنوضح لاحقا، لكانت كفيلة بتحقيق «صحوة» بين المسلمين، تمكنهم من انتزاع حريتهم وكرامتهم من أيدي هؤلاء الطغاة، قبل مرور تلك العقود الطويلة من الزمان، وهم رازحون تحت طغيانهم.

---

(1) سورة الفجر: 11 – 12 .

والأمر هكذا، نحمد الله - سبحانه- علىٰ صحوة المسلمين بثوراتهم المباركة، في أكثر من قطر، وصولًا إلىٰ الحرية، والعدل، والنهضة الشاملة.

إن الصلاة مرتبطة تمامًا بالتقوىٰ «**الوسيلة والهدف**».. والمبهر أن هذا الارتباط متعمق ومتجذر وممتد، وصولًا إلىٰ تحقيق نهضة الإنسان علىٰ الأرض.

الارتباط قوي بين: «**الصلاة، ثم التقوىٰ، ثم الصبر، ثم الخشوع، ثم التركيز**»، كما يتبين فيما يلي:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[2].

وقال- عز من قائل- : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[3].

إن هذه الآيات الكريمة تؤكد- بما لا يدع مجالًا للشك- أن

---

(1) سورة الأنعام : 72 .

(2) سورة طه : 132 .

(3) سورة البقرة :45 .

الصلاة ليست مرتبطةً بالتقوىٰ فقط كهدف عقائدي روحىٰ أخروىٰ لإقامة الركن وإسقاط الفريضة للفوز بالجنة في الآخرة، لكنها مرتبطة أيضًا بالصبر، والاستعانة بهذا الصبر.

هذه الاستعانة ليست سوىٰ وسيلة دنيوية مادية فعلية، يتم الاعتماد عليها لتحقيق النجاح، وإنجاز الأهداف، في مجالات الدنيا كافة، من خلال الإرادة والعزيمة، عن طريق الصبر المُشار إليه.

وكذلك الأمر «سعادة الدارين» مرتبط تمامًا بالخشوع في أداء الصلاة، باعتباره هدفا- في حد ذاته-؛ لتحصيل الثواب الأكبر من خلال أداء العبادة، للفوز بالجنة في الدار الآخرة.

كما أن الخشوع وسيلة- في حد ذاته أيضًا- للتدريب علىٰ التركيز اللازم من أجل إنجاز أىٰ عمل أو مهمة دنيوية، وذلك كما يلي:

❖ الخشوع والتركيز: هدف للآخرة، ووسيلة للدنيا.

❖ الخشوع في الصلاة: هدفه ثواب الآخرة، وهو وسيلة للنجاح في المجالات العملية بالدنيا.

لكن «**ظاهرة**» الخشوع في الصلاة أصبحت شبه منعدمة في عصرنا، ربما بسبب ضغوط العصر والأعباء المادية التي يعاني منها معظم الناس، والسؤال هنا: لماذا أمرنا الله تعالىٰ بالخشوع،

وما فائدته أصلًا؟ وفي المقابل: ماذا يحدث إذا فكر الإنسان بأكثر من شيء في آن واحد؟

لقد أثبتت الدراسات العلمية في كثيرٍ من الدول- أن العقل البشري يحتاج إلىٰ وقت أطول في ردة الفعل، فيما إذا حاول أن يقوم بعملين مختلفين في آن واحد، وتكون النتيجة زيادة الأخطاء الناجمة عن تشتت الذهن في أكثر من عمل.

فالملاحظ أنه عندما نقوم بعملين متوازيين، تضعف قدرتنا في تنفيذ الأمرين معا، بنسبة تصل إلىٰ 40 في المائة- كما أكدت الدراسات- الأمر الذي لا نلحظه في حياتنا اليومية؛ لأنه ليس هناك من يمسك بساعة توقيت زمني، ثم يقوم باحتساب زمن تنفيذنا للمهام المختلفة.

ومثال لذلك أن الخطورة مُحققة بالنسبة لقائد سيارة يجري اتصالًا هاتفيًا، وهو يقود، إذ إنه لن يستجيب بالسرعة المطلوبة لأي طارئ مفاجئ.

* ماذا نستفيد من نتائج هذه الدراسات؟

نستفيد أن المؤمن ينبغي عليه أن يفكر بكل اكتشاف جديد، ويحاول تسخيره لفائدته في الدنيا والآخرة، فنحن نعلم أن الله تعالىٰ أمرنا بالخشوع في أداء الصلاة.

ويعني الخشوع أن نركز انتباهنا كله في الآيات القرآنية التي

نقرؤها، والتسبيح والتكبير والأذكار – كافة – التي نأتي بها في الصلاة، وقد مدح الله المؤمنين بصفة تميزوا بها عن غيرهم، هي ذلك الخشوع في الصلاة، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾[1].

من هنا نؤكد أن المؤمن الذي يؤدي الصلاة، وهو يفكر بأمور دنيوية، سينخفض تركيزه في أثناء الصلاة، ولن يستفيد من القرآن الكريم الذي يقرؤه، أو الأذكار التي يرددها، وهذا ما يفسر عدم إحساس كثيرين بحلاوة هذه الفريضة ولذتها.

والأمر نفسه عندما نستمع إلىٰ القرآن الكريم، إذ ينبغي علينا أن نصغىٰ إليه، وأن ننصت لكلماته المتلوَّة، وأن نتأمل معانيها، وأن نركز انتباهنا في كل حرف وكلمة نسمعها، وهنا – فقط – سيكون القرآن شفاءً، ورحمةً لنا.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾[2]. وفي هذا إجابةً عن أسئلة تتكرر كثيرًا مثل: لماذا أقرأ القرآن، ولا أُشفىٰ من مرضي؟ لماذا أصلي ولا أنتهي عن المنكر، أو لا أشعر بحلاوة الإيمان؟ ولماذا أحاول حفظ القرآن لكنني لا أستطيعه؟

---

(1) سورة المؤمنون: 1 – 2.

(2) سورة الأعراف: 204.

والجواب عن هذه الأسئلة كلها يتلخص في كلمة واحدة.. إنها «**الخشوع**»!

فقد وصف الله – سبحانه – بهذه الصفة الجبل، فيما لو أُنزل عليه القرآن، قال تعالىٰ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾[1].

وهكذا، لو أن كل واحد منا مارس «رياضة الخشوع» كل يوم لمدة نصف ساعة فقط، لتغير كثير من الأمور والأشياء في حياته، ولأصبح أكثر قدرة علىٰ مواجهة المصاعب، وأكثر تحملًا لأعباء الحياة، وأكثر قدرةً علىٰ اتخاذ القرارات السليمة، وأكثر قدرةً علىٰ التعافي من كثيرٍ من المتاعب والمخاوف.

بل إن علاج كثيرٍ من الأمراض النفسية والجسدية التي يصاب بها المرء، لا يتأتىٰ إلا بالخشوع.. قال تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾[2].

فالصبر والصلاة هما مفتاحا الدنيا والآخرة، ولا سبيل لهما إلا بالخشوع، بينما نجد أن الصلاة شاقة علىٰ الإنسان الذي لا يخشع

(1) سورة الحشر: 21 .
(2) سورة البقرة: 45 .

ولا يتأمل ولا يتفكر في خلق الله، ولا يتدبر القرآن، ونجد صبره قليلًا علىٰ أدائها، بل نجده مشحونًا بانفعالاتٍ متباينة.

إذًا: الخشوع بمعنىٰ التركيز في الصلاة، وقراءة القرآن، وغيرهما من العبادات، هو العلاج الأمثل لكل إنسان.

لذلك وصف الله تعالىٰ أنبياءه الذين اسْتُجِيبَتْ دعواتهم بأنهم كانوا في حالة خشوع دائم له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ (1) .

ومن هنا ندرك صواب الإجابة عن الأسئلة السابقة، فالخشوع- بحسب أحدث التقارير الطبية- يجعل الجسم يفرز مادة الأندروفين التي تؤدي إلىٰ شعور الإنسان بالاطمئنان، وتجنبه القلق والاكتئاب والتوتر والانفعال الذي يؤدي إلىٰ إصابته بأمراض القلب شديدة الخطورة.

ومعلوم انتشار الاكتئاب في دول الغرب شديدة الثراء حيث نجد أعلىٰ معدلات الانتحار في السويد- مثلًا- برغم أنها تتمتع بأعلىٰ مستوىٰ دخل للفرد في العالم، في حين نجد انخفاضًا في معدلات الانتحار بالصومال- مثلًا- برغم أنها أفقر دول العالم..

---

(1) سورة الأنبياء: 90 .

حيث الاطمئنان مع الفقر نتيجة قوة الباعث الروحي، والخشوع مع التسليم للمولىٰ.

كما ذكرت تقارير طبية موثقة أن الاطمئنان في أثناء السجود لفترة كافية مع ذكر الله – سبحانه – يتم فيه إرسال إشارات للدماغ بالفرح والاطمئنان، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ [1].

لذلك كان الرسول ﷺ يقول دائمًا: « **يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا** »[2]، وذلك في عبقريةٍ حضاريةٍ علميةٍ عمليةٍ دنيويةٍ لا مثيل لها، ولا يفقهها إلا «**المصلون الخاشعون**» .

*** الخلاصة:**

المسلم يعبد الله تعالىٰ بالخشوع، وبالتالي لابد من أن يتدرب علىٰ التركيز، عن طريق عدم الانشغال بالأمور الحياتية في أثناء الصلاة؛ فتكون النتيجة – بقدرة وحكمة العليم الحكيم – دعم القدرات الشخصية اللازمة للفرد لتحقيق النجاح في أموره الحياتية التي لم ينشغل بها في أثناء أدائه صلاته.

إنها معجزة روحية مادية إيمانية عملية دنيوية أخروية لا مثيل لها علىٰ وجه الأرض، ولا في علوم الدنيا: لا السابقة، ولا

(1) سورة الرعد: 28 .

(2) صحيح : أخرجه أبو داود (4/ 296) ، عن سالم بن أبي الجعد .

اللاحقـة، كمـا أنهـا دلالـة قاطعـة عميقـة علـىٰ الـربط بـين الـدنيا والآخرة، بمعادلات ودلالات شديدة الدقة والإعجاز، فيما بين: «الصلاة، التقوىٰ، الصبر، الخشوع، التركيز».

❊ إقامة الصلاة:

لم يأمر المولىٰ سبحانه وتعالىٰ بالصلاة، بل بإقامتها، فلم نجد بالقرآن الكريم– أبدًا– الأمر بـ «**صلوا**»، بل بـ «**أقيموا الصلاة**»، أو «**أقم الصلاة**».

ذلـك أن الـصلاة الحقيقيـة هـي الـصلاة التامـة التـي تُعـد الكنـز الروحي الأخروي والمادي الدنيوي للمسلم باشتراك كل حواسه وأعضائه فيها: القلب والروح والعقل والجسد معًا.

إنهـا المعـراج الـذي اتخـذه الرسـول ﷺ إلـىٰ ربـه تحقيقًـا للوصل– لا الفصل– بين الدنيا والآخرة، حيث النجاح في الـدنيا هو «**الممر**»، وهو الأمل في الفوز بـالآخرة «**المقـر**».. كمـا أسـلفنا الذكر في مقدمة هذا الكتاب.

وهكذا، عندما يقيم المسلم الـصلاة تامـة علـىٰ الوجـه الأكمـل بالإتقان والاستدامة التامتين، فإنها لابـد أن تـصفي روحـه، وتنقـي قلبه، وتوجه عقلـه، وتقـوي جسده، وتهـذب أخلاقـه، وتدعمـه – بالتـالي – لتحقيـق النجاح في مجـالات الحيـاة كافـة، تبعًـا لمـنهج القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

قال تعالىٰ في حق الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[1]، وهكذا في كل الأمور، بمعنىٰ أن المسلم يبدأ الصلاة بالنية والشرعية الثنائية، التي فصلنا فيها الحديث في الركن الأول «**الشهادتان**»، إذ يبدأ بالنية الخاصة به، ثم بالشرعية بقوله «**الله أكبر**»، كمدخل استراتيجي لبداية الصلاة، مما يعني عمليًا دنيويًا أن المولىٰ سبحانه أكبر من أي شيء، أكبر من الدنيا وقضاياها، وبالتالي لا يتجاوز المسلم حدود الالتزام بالحقوق والواجبات الشرعية مع أىٰ طرف من الأطراف التي يتعامل معها في حياته.. لا يستكبر، ولا يتعالىٰ علىٰ أحد، مهما كان قويًا أو ضعيفًا، غنيًا أو فقيرًا، عالمًا أو بسيطًا، صاحب سلطةٍ أو دون نفوذ[2].

وأول طرف من الأطراف التي يتعامل معها المسلم، أن يبدأ بنفسه، ويفهم كيفية تطبيق منهج الإسلام في حياته، في شتىٰ المجالات، ثم بعد ذلك مع الأطراف جميعًا: الوالدين، والزوجة، والأبناء، والأخوة، والأقارب، والجيران، والزملاء،

---

(1) سورة العنكبوت: 45 .

(2) نذكر هنا بالدعوات البائسة التي صدرت من بعض من يُسمون بالنخبة والصفوة بخصوص عدم موافقتهم علىٰ خيارات الشعب المصري في الانتخابات، إذ سمعنا كثيرين منهم يرددون أن « **الشعب لا يفهم** ، **أو غير مؤهل للخيارات الديمقراطية في الانتخابات** » ، وهو كلام شاذ فكريًا ومنطقيًا ، ولا يصح فيما يخص علاقة الشعب بالنخبة (**موضوع كتاب آخر**).

والشركاء، والمتوافقين، والمختلفين معه، من المسلمين وغير المسلمين، ومن الأصدقاء والأعداء، وخلافهم.

– والجاذب للنظر أن الأذان الذي يمثل الدعوة لصلاة الجماعة يبدأ أيضًا بـ «**الله أكبر**»، وهو تأكيد المعنىٰ المطلوب نفسه عمليًا دنيويًا، ثم بعد ذلك تكون إقامة الصلاة بالتركيز في إقامتها، وليس فقط في أدائها.. « **قد قامت الصلاة**».. « **قد قامت الصلاة** ».. مما يؤكد قوة وتركيز الدعوة لتحقيق الثمرة الفعلية الدنيوية من إقامة الصلاة عامة، وصلاة الجماعة خاصة.

أما في صلاة الفجر فإضافة «**الصلاة خير من النوم**» إلىٰ الأذان أو النداء تستدعي وقفة حضارية عميقة، سيأتي الحديث عنها في وقت لاحق.

* لابد من تأكيد أهمية إقامة الصلاة تامة بالإتقان والاستدامة، فلها أثر دنيوي إيجابي فعلي، أكدته الآيات القرآنية: **قَالَ تَعَالَىٰ**:
﴿إِنَّ ﴾ ﴿هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ
مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ
عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ
ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾

وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(1) .

أيٰ إن إقامة الصلاة بالصفات الواجبة المذكورة، والخشوع التام اللازم، تجعل المسلم مطمئنًا لا يجزع، مقدامًا كريمًا، شجاعًا قويًا، في مواجهة محطات الحياة وأزماتها، فماذا يحتاج الإنسان إلىٰ أكثر من ذلك؟ وهل يوجد مثيل له في أي منهج آخر غير القرآن والسنة؟

ومن أهمية هذا المعنىٰ للصلاة نجد في القرآن أن «**الويل للمصلين**» المقصرين في صلاتهم، وليس فقط «**الويل لغير المصلين**»، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن ﴾ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾(2) .

وهو ما يؤكد أيضا الربط بين السهو عن الصلاة، وبين البخل ومنع الماعون عن اليتامي والمساكين، في حين أن الصلاة التامة مرتبطة تماما بالكرم والقوة كما ذكرنا.

❊ صلاة الجماعة «الجماعية»:

« سياسي اجتماعي.. إداري تنظيمي.. صحي رياضي»

---

(1) سورة المعارج: 19 – 35 .

(2) سورة الماعون: 4 – 7 .

بناء المجتمع والتضامن الاجتماعي بالعمل الجماعي يمثل صلب الإسلام وأساسه، والارتباط الوثيق معلوم بين فاتحة القرآن والصلاة، بقراءتها سبع عشرة مرة يوميًا في الفروض فقط، فنحن نقرأ الفاتحة، ونقول «**إياك نعبد وإياك نستعين**»، ونقول: «**إهدنا الصراط المستقيم**»، حتىٰ في الصلاة منفردين، كل منا منفردًا وحده، في المسجد أو المنزل، فلماذا وردت صيغة الجمع في هذه الآيات الكريمة؟

إنها تأكيد فعلي عملي دنيوي لإطلاق طاقات الأفراد من خلال العمل الجماعي لبناء الفرد، والأسرة، والمجتمع، والأمة؛ لتحقيق التقدم والنهضة علىٰ الأرض مع إرساء قواعد قدوة حضارية لسائر أمم البشرية.

هذا الأمر يستحيل تحقيقه إلا بناء علىٰ آلية العمل الجماعي وحركته، بشرط أن تكون هذه الحركة علىٰ أساس من القيم والمباديء الحضارية الإنسانية غير المتاحة إلا في الإسلام، بدليل فشل الحضارة العلمانية الحالية في هداية البشر.

وهذا هو المغزىٰ من كون الأجر والثواب مضاعفين لصلاة الجماعة، أي أن الذي ينقص المسلمين هو التجمع والتوحد في «**الشرائع**»، وليس في «**الشعائر**» فقط.. ونفصل ذلك في الآتي:

ملحوظ أننا نحن المسلمين أول من نتجمع ونتوحد بكفاءة

أقوىٰ من كـل الأمـم والثقافـات الأخـرىٰ، في شـعائر العبـادات، إذ نتجمع في الحج كأكبر مؤتمر عالمي تاريخي بلا مثيل، وفي صـلاة الجمعة، والجماعة، نتجمع بلا مثيل أيضًا، بل إننا نتجمع كـذلك، وبلا مثيل، في توقيت الإمساك عن الطعام والإفطار في وقت واحد أثناء صيام شهر رمضان.

فلماذا لا نتجمع ونتوحد -بالمثل - في « **شـرائع العبـادات** » في مجالات الحيـاة الاقتـصادية والـسياسية والثقافيـة وغيرهـا، كمثـل هذا التوحد في « **شعائر العبادات** »؟

الواقع أننا أضعف وآخر الأمم في التجمع والتوحد في مجالات الحيـاة الفعليـة المـذكورة، ولا يمكـن أن يحـدث ذلـك الـضعف والتأخر إلا بقصور في الفكر والتطبيق!

إن العالم كلـه مـن حولنا يتجمـع ويتوحـد لتحقيـق المـصلحة المشتركة، كالاتحـاد الأوروبـي، والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وغيرهمـا.. كلهـم يتوحـدون لاسـتهداف تحقيـق القـوة الماديـة الحـضارية العلمانيـة دون أن يجمعهـم: لا عقيـدةً، ولا لغـةً، ولا ثقافةً واحدة!

أمـا نحـن المـسلمين، أو علـىٰ الأقـل العـرب المـسلمين، فيجمعنا الإسلام كدين وهويـة، وتجمعنـا اللغـة العربيـة، وكـذلك تجمعنا الثقافة والعادات والتقاليد المشتركة، فالأحرىٰ -إذن- أن

نتجمع، ونتوحد في الشرائع، كما نتوحد في الشعائر، تلك بدهية إسلامية.

*** صلاة الجماعة:** « **التوازن بين الإمام والمأمومين** ».. « **الفرد والجماعة** »:

تأمل المأموم إذ يقف مستسلمًا للإمام، مطيعًا له في الصواب لا الخطأ، حيث حكمة المولىٰ سبحانه أن جعل المسلمين جنودًا في الصلاة « **كالبنيان المرصوص**»، مطيعين له طاعة مبصرة، وليست عمياء، فإن أخطأ الإمام أو نسي، وجب علىٰ المأموم- الجنود- أن ينصحوه برده عن الخطأ، ووجب عليه أن يعود إلىٰ الصواب، فإن أصر علىٰ الخطأ « **في الأخطاء التي تبطل الصلاة**»، فلا طاعه له.

وإن كانت الأخطاء بسيطة لا تبطل الصلاة تستمر الطاعة، لكن إذا تكررت أخطاؤه البسيطة فمن الطبيعي أنه لا يقوم أحد بعد ذلك بتقديمه للإمامة في الصلاة، حتىٰ لو كانت كثرة أخطائه لا تبطل الصلاة.

فهل هناك توجيهات عميقة، وأولويات دقيقة أكثر من هذه التوجيهات يحتاجها المسلمون في العمل الجماعي: سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وفي شتىٰ المجالات؟! إن طاعة الإمام واجبة «**شرعًا**» في كل ما هو غير معصية.

والحكمة من ذلك، والسبب فيه؛ تأسيس آلية العمل الجماعي اللازم بالضرورة البدهية لبناء نهضة على الأرض، فهل هناك مثيل لتلك الآلية في كل نظم الدنيا؟

إنه بالفعل أمر يغيظ الآخرين الذين لا يستطيعون بناء أي عمل جماعي مماثل، لا سيما أننا نجد هشاشةً في كل الكيانات ذات التوجهات المخالفة للإسلام، خصوصًا في مصر، والمنطقة العربية.

- فطاعة الإمام واجبة في غير معصية، وكذلك رده، والنصح له واجب أيضًا علي الجميع، وفي ذلك دلالةً بالغةً علي مفهوم الرقابة والمساءلة تجاه الحاكم في إطار الديمقراطية المعلومة في كل الدنيا حاليا، لكنها مفاهيم مقررة إسلاميًا قبل ذلك بقرون كثيرة- ولا مجال هنا للتفصيل- وذلك عندما كانت البشرية غارقة في ظلمات الجهل، والتعصب، والتشرذم، والتخلف.

*** طاعة الإمام و«البراجماتية» لتحقيق المصالح:**

وجوب طاعة الإمام في غير معصية يتكامل تمامًا مع القاعدة الفقهية التي تقول: « **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**»[1]، بهدف تأسيس «**العمل الجماعي**»، ليس فقط للدعوة للإسلام

---

(1) انظر : « **الإحكام** »للآمدي (1/ 110) ، و« **القواعد والفوائد الأصولية**» (ص: 130).

وتطبيق منهجه، بل أيضا لنجاح المسلمين وغيرهم في أي مجال من مجالات الحياة، وهو ما يُطلق عليه بالإنجليزية (**Teamwork**)، وذلك بهدف تحقيق «**البراجماتية**» التي تعني تحقيق المصلحة.

والآن، فلننظر إلىٰ التعليمات التنظيمية الإدارية، كما جاء في أدب الإمامة من قولهم: «**لا تسبقوا الإمام، ولا تساووه**»، الذي يمثل تطبيقًا عمليًا للعمل الجماعىٰ، فالإمام إن كان اختياره تم وفقًا للشروط الشرعية، وبرضاء المأمومين، وكذلك الحاكم إن كان تنصيبه تم بالانتخاب الحر، فالواجب علىٰ الجميع إعطاؤه كل ما يلزم من طاعة مبصرة، ومشاركة إيجابية، ودعم واحترام، عمليًا وأدبيًا، حتىٰ يتمكن من توجيه الأمور، وقيادة دفتها؛ تحقيقًا للمصلحة العامة.

والأمثلة كثيرة، فالمأموم الذي يُذَكِّر الإمام إذا نسىٰ، أو يصوبه إذا أخطأ، مثلا: في قراءة القرآن، فهل يعنىٰ ذلك أنه أكثر إتقانًا لقراءة القرأن من الإمام؟

بالطبع: لا، لذلك يستمر الإمام فىٰ الإمامة بالناس في الصلوات التالية؛ حفاظًا علىٰ الجماعية، والعمل الجماعي؛ تحقيقًا للمصلحة، فالعبرة ليست بتصيد الهفوات لمجرد إفشال الإمام أو «**الحاكم**»، بهدف إثارة التفرق والفتنة، لكن هذه

التوجيهات بالغة الدقة، هي لأجل دعم العمل الجماعي لتحقيق المصلحة العامة، وهي «**براجماتية** » أو نفعية حضارية عميقة، اخترعها الإسلام منذ نزول الوحيٰ، قبل أن نسمع عن مصطلح «**براجماتية**» بقرون كثيرة.

وهناك تفاصيل بالغة الدقة في صلاة الجماعة لتأسيس العمل الجماعي، وأولويات آلياته، فمثلًا: إذا نسي الإمام القعود لقراءة «التشهد الأوسط» في منتصف صلاة الجماعة، وهي من النفل، أي لا تبطل الصلاة بدونها، فعند ذلك لا يلزم رد الإمام لأن «**الجماعية**» واجبة هنا، وبالتالي هي أهم من النفل.

بل إذا قام أحد المأمومين برد الإمام في هذه المناسبة، وكان قد تخطىٰ «**التشهد الأوسط**»، ووقف للإتيان بالركعة الثالثة، يلزمه حينها عدم الاستجابة لهذا النصح بحيث لا يعود للقعود للتشهد الأوسط - النفل - بل يستمر في الركعة الثالثة الواجبة.

إنها تفاصيل بالغة الدقة لمن يفهم- بعمق- شأن علاقة الحاكم بالمحكوم، والإمام والمأموم.

- وإذا أخطا الإمام أو نسي، وتم رده، واستجاب للنصح، فعليه أداء سجدتي سهو في نهاية الصلاة، وذلك في تأكيد بالغ للإقرار بمبدأ الاستجابة للرقابة الشعبية، والمُساءلة الجماهيرية.

وحتي لو حضر أحد المصلين متأخرًا بعد حدوث رد الامام،

واستجابته، سيلاحظ هذا المتأخر الأمر في نهاية الصلاة، فالسلطة للشعب، وليس أمام الإمام– الحاكم- سوىٰ اتِّباع المنهج، والمضمون المقرر بثوابت الشرع.

أما المتغيرات غير المفروضة فيتم التوافق عليها من خلال آليات الحريات العامة بين المواطنين- موضوع كتاب آخر- وإلا سيكون الإمام أو الحاكم مخلوعًا إذا أصر على مخالفة «**الجماعية**» في صلاة الجماعة، أو سلطة الشعب في الحياة العامة.

ومعلوم أن طلب الإمامة غير مرحب به إلا إذا تم برضًا وترحيب، وطلب من جماعة المصلين، علمًا بأنه لا توجد زيادة في الأجر والثواب للإمام مقارنة بالمأمومين، علىٰ عكس زيادة الأجر للمؤذن للصلاة مما يعني أن الإمامة- وكذلك ولاية الحكم- مسئولية كبرىٰ لا حاجة للتقدم لها إلا عند التأكد من القدرة عليها مع صعوبة قيام الآخرين بهذه المسئولية.

وهو أمر بديهي في الإسلام وواضح في سيرة الرسول ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن موقف الحاكم عند الحساب في الآخرة يكون أصعب بكثير من عامة الناس، كما أن موقف الغني يكون أصعب من الفقير، وهكذا.

- ذلك كله لا يمثل إلا القليل من الكثير بشأن الصلاة عامة، وصلاة الجماعة خاصة، الأمر الذي يؤكد وجود علاقة ثنائية في

مسارين من الأخذ والعطاء بين الحاكم والمحكوم، كما فصلنا سابقًا، وذلك بضرورة السمع والطاعة للحاكم في غير معصية الله، مع ضرورة النصح والرقابة والمساءلة للحاكم، وضرورة استجابته لذلك، وإلا خرج عن منهج الحكم، كما يخرج الإمام عن منهج الإمامة في الصلاة.

أخيرًا فلننظر الي تفاصيل «**البنيان المرصوص**»، فالكتف في الكتف، والقدم في القدم، مع ضرورة استكمال الصف الأول قبل الوقوف في الصف الثاني، وهكذا، وتحديد من أين تكون بداية كل صف جديد بحيث تكون من خلف الإمام، وليس من مكان آخر، يمينًا أو يسارًا، في هذا الصف الجديد، مما يؤسس لتوجيهات سياسية اجتماعية إدارية تنظيمية لا مثيل لها، انطلاقًا من صلاة الجماعة.

إذ هي الآلية الحركية، ليس فقط لتجميع الناس بل للتراحم والتواصل اجتماعيًا، مع الإنجاز سياسيًا، واقتصاديًا، وثقافيًا.. إلخ، حتي يتم التعاون والنهوض بالأمة في إطار قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [1] .

أي أن «**صلاة الجماعة**» هي أحد أهم الأسس فى عملية التدافع

---

(1) سورة المائدة : 2 .

الإيجـابي البـشري الحـضاري الـشامل: روحيًـا، وماديًـا؛ تحقيقًـا لنهضة الأمة الإسلامية.

وذلـك كلـه يمثـل دلالات بالغـة الدقـة: سياسـية، واجتماعيـة، وتنظيميـة، وإداريـة، وأيـضًا صـحية، ورياضـية- كمـا سنـشرح لاحقـا-، وبـرغم ذلـك يخـرج علينـا مـن يـدعىٰ فـصل الـدين عـن السياسة!

*** الإيجابية والجماعية:**

تؤكد صلاة الجماعة- كما أسلفنا- «الروح الجماعية»، ونزيـد علىٰ ذلك:

1- التنـافس الـشديد علـىٰ الـصلاة في الـصف الأول: جـاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قـال: « **لَـوْ يَعْلَـمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والـصَّفِ الأَوَّلِ، ثُـمَّ لَـمْ يَجِـدُوا إلا أنْ يَـسْتَهِمُوا عليـه لاسْـتَهَمُوا، وَلَـوْ يَعْلَمُـونَ مـا في التَّهْجِيـرِ لاسْـتبَقُوا إليـه، ولَـوْ يعلمون ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوا**»[1].

2- التبليغ عن الإمـام لمـن يـصلىٰ خـارج المـسجد أو لمـن لا يسمع الإمام في داخله:

فعَـنْ عَائِـشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَـتْ: لَمَّـا مَـرِضَ النَّبِـيُّ ﷺ مَرَضَـهُ الَّـذِي

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (1/ 126)، (3/ 182)، ومسلم (1/ 325).

مَاتَ فِيهِ، أَتَاهُ بِلالٌ يُوذِنُهُ بِالصَّلاَةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ**»، قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَبْكِي، فَلاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ**»، فَقُلْتُ: مِثْلَهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ**»، فَصَلَّىٰ وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ الأَرْضَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ صَلِّ، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ جَنْبِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ التَّكْبِيرَ [(1)].

3- ضرورة تخفيف الإمام عن المأموم: في الحديث عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلَانٌ فِيهَا. فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ**»[(2)].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ بالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا**

---

(1) متفق عليه : أخرجه البخاري (1/ 143 رقم 712) واللفظ له ، ومسلم (1/ 311 رقم 418).

(2) متفق عليه : أخرجه البخاري (1/ 142) واللفظ له ، ومسلم (1/ 340) .

الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» [1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّـهُ قـال: « **ما صَلَّيْتُ وَراءَ إِمامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلاةً ولا أَتَمَّ صَلاةً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ** »[2].

إن التسابق علىٰ الصلاة في الصف الأول يعنىٰ مبادرة وإيجابية ليس فقط للمشاركة في العمل الجماعي الوطني الإسلامي، بل أن تكون في مقدمة الصفوف وطلائع المواطنين، تلك الطلائع التي تحمل علىٰ أكتافها هذا الشرف العظيم.

فالعبرة في الأفضلية بالدرجات العُلىٰ يوم القيامة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [3].

كما أن تبليغ المأموم الذي لا يسمع الإمام يمثل التواصل الإيجابىٰ الجماعىٰ المثمر مجتمعيًا من خلال العمل المهني والتطوعي في إطار مؤسسات المجتمع المدني لتوعية وتوجيه المواطنين لتحقيق المصلحة العامة للأمة.

*** الإيجابية:**

يؤكدها القرآن الكريم بدقة بالغة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (1/ 142) واللفظ له، ومسلم (1/ 341).
(2) متفق عليه: أخرجه البخاري (1/ 143)، ومسلم (1/ 342) واللفظ له.
(3) سورة آل عمران: 163.

مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ [1]، فليس المقصود الشخص الفاسد فقط بل المفسد، وليس المقصود الشخص الصالح فقط بل المصلح، والفارق بينهما مهم جدًا، ألا وهو «الإيجابية» المجتمعية المثمرة.

وللأسف، من الملاحظ الآن أن معظم الفاسدين يتحولون بسرعة وكفاءة إلىٰ «مفسدين»، والعكس غير صحيح، فلا نجد معظم الصالحين يتحولون إلىٰ مصلحين، وهو أمر بالغ الأهمية للمسلمين جميعًا، وتكفينا الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2].

*** أما «الجماعية»:**

فقد أكدناها سلفا، عند التعليق علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[3]، فالواجب التفعيل العملي الدنيوي لمنظومة التلازم الوثيق بين «الإيجابية والجماعية» من خلال «**البراجماتية**»، أو النفعية الإسلامية، ألا وهي تحقيق المصلحة العامة.

فليس المطلوب جماعية لمجرد التجمع بل لابد من الإيجابية المثمرة مجتمعيًا، وليس المطلوب فقط الذهاب للمسجد لأداء

---

(1) سورة البقرة : 220.

(2) سورة الرعد :11.

(3) سورة الفاتحة : 5 – 6 .

صلاة الجماعة، بل المطلوب أيضًا التفاعل الشامل مع الناس.

كما أنه ليس المطلوب «**الإيجابية**» فقط مع نفسك للمصلح الفردية بل أيضا «**الجماعية**» لتحقيق المصلحة العامة، فالإسلام يوجب «**الإيجابية والجماعية**» في حين أن الطغاة الفاسدين المستبدين يجبرون الشعوب -بالقوة- علىٰ «**السلبية والفردية**» التي كانت متفشية في مجتمعاتنا إلىٰ ما قبل ثوراتنا المباركة.

الإمام «الحاكم» والتخفيف علىٰ المأموم «المحكوم »: إن المطلوب هو الإيجابية والجماعية الإسلامية، وليس العلمانية، وذلك كما نشاهد في الغرب، بالتركيز علىٰ المصلحة المادية فقط دون الأبعاد الروحية الإنسانية.

لذا لابد من مراعاة القدرات المتباينة بين المواطنين جميعًا، بالتوازن بين مصلحة الفرد والمجتمع، أما إذا كنت وحدك في عمل ما أو ضمن مجموعة من الأقوياء فلابد من أن تبذل الحد الأقصىٰ من الجهد والسعىٰ.

والشاهد هنا الآية القرآنية الكريمة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [1]، فالمقصود ليس فقط أنك لست مكلفًا إلا بما في وسعك، كما هو معلوم لكثيرين، بل المقصود بداهة أنه

(1) سورة البقرة: 286 .

لابد من أن تكون «**مكلفا بكل ما في وسعك**»، وذلك هو الانتقال التقدمي الحضاري الذي لابد من أن نعبر إليه بعد ثوراتنا العربية المباركة؛ كي ننهض بأنفسنا في الدنيا الواسعة التي خلقها الله تعالىٰ.

وهكذا يمكننا أن ننتقل من «**صالحين**» إلىٰ «**مصلحين**»، بموجب «**الإيجابية والجماعية**»، بصلاة الجماعة المباركة.

*** الصلاة ومجالات الحياة العملية:**

تحقيقًا لشمول الصلاة، من أجل الظفر بالثمرة الحضارية في الدنيا والآخرة، جاءت دعوة القرآن الكريم لإقامة الصلاة مقترنة بالإصلاح الاجتماعي، والاستقامة علىٰ فعل الخير، وغير ذلك، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (1)، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (2)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (3)، وقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ

(1) سورة البقرة: 83 .
(2) سورة النساء: 77 .
(3) سورة الأنبياء: 73 .

عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2].

والمتعمق في تدبر هذه الآيات الكريمة يلحظ أنّ:

1ـ الصلاة جاءت مقترنة بالقول الحسن: « **وَقولُوا للناسِ حُسنًا** »؛ لئلا تصدر عن المصلّي كلمة السوء، ولئلا يحرّك لسانه بغير الإصلاح والخير، فلا يكذب، ولا يغتاب، ولا يسبّ، ولا يلعن، ولا ينطق بالكلمة البذيئة، بل ينشر بلسانه الخير والفضيلة.

فيستعمل الكلمة الطيّبة، ويتعامل بالعبارة الجميلة المسرّة، لأنّ للكلمة دورها الفعّال في إصلاح المجتمع، والتأثير علىٰ سير حياته الفكرية والثقافية، وتكوين العلاقات والروابط النفسية والاجتماعية بين أفراده.

2ـ الصلاة جاءت مقترنة بكفّ الأيدي عن الظلم والعدوان علىٰ الآخرين، والعدوان علىٰ أموالهم وأرواحهم وأعراضهم، وكل ما يتعلق بهم، حتىٰ يسود الأمن والاستقرار في المجتمع.

3 ـ جاءت الصلاة مقترنة بفعل الخيرات، ودعوة الإنسان إلىٰ الإصلاح والاستقامة، وتربيته علىٰ فعل الخير، وتحقيق أحلام

---

(1) سورة الحج: 41.

(2) سورة العنكبوت: 45.

الإنسانية، في التقدّم والإصلاح، بمجالات: العمران، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والأخلاق.. إلخ.

4ـ جاءت الصلاة أيضًا مقترنةً بالأمر بالمعروف، والنهي عن الفحشاء، والمنكر: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]، وهذا الاقتران للصلاة بالإصلاح الاجتماعي، ومحاربة الفساد والانحطاط المتمثّل بالفحشاء والمنكر، لابد أن يعود بأفضل النتائج علىٰ حياة المجتمع والدولة.

هكذا يكون الفرد المصلّي، والمجتمع المصلّي، مركزًا لإشعاع الخير والإصلاح والاستقامة والهداية في الكون؛ لأنّ الصلاة تربّي في النفس:

أ ـ يقظة الضمير.. بدوام الاتصال بالله تعالىٰ، والخوف من معصيته، والحياء من مخالفته، وكيف لا يستحي المصلي من فعل الجرائم والمخالفات، وهو يقف خمس مرّات في كل يوم بين يدي ربّه: يدعوه، ويستغفره، ويطلب عفوه، وثوابه؟

ب ـ تربّي الصلاة في نفس المصلي حبّ الخير للجميع، وتنقذه من الحقد والأنانية اللذين هما مصدر كل الشرور والمآسي

(1) سورة العنكبوت: 45.

البشرية في كل مجالات حياتها، فالمصلّي بدعائه يطلب الخير للجميع، ويدعو لهم بالخير والمغفرة، فتنمو في نفسه مشاعر الحبّ والخير بأوسع صيغها الاجتماعية الشاملة.

وليس الدعاء هو كل ما يؤديه المصلّي للتعبير عن رغبته في حبّ الخير، بل يمتد هذا الإحساس والشعور الإنساني النبيل إلىٰ خارج مواقف الصلاة، ليتجسّد سلوكًا وعملًا في حياته، تحيا الإنسانية في ظلاله آمنة مطمئنة.

فالصلاة مرتبطة بكل مجالات الحياة كما أنها شاملة لبقية أركان الإسلام، فهي تتضمن ركن الزكاة؛ لأن متوسط إجمالي الوقت المطلوب لقضاء الفروض الخمسة يساوي تقريبًا 2،5٪ من وقت اليوم الكامل (**24 ساعة**) مما يعنىٰ: ربع العشر المقدر للزكاة من الأموال.

كما تشمل الصلاة ركن الصيام لأنك في أثنائها تصوم عن كل الحلال مثل صيام رمضان، وتشمل الصلاة الحج أيضًا بتكبيرة الإحرام، والتوجه إلي الكعبة، علاوة علىٰ أنها تشمل بالطبع، وأولًا وأخيرًا، الشهادتين، كما نرىٰ في أثناء التشهد.

*** مواقيت الصلاة وموازين الدنيا: إدارية وتنظيمية:**

إذا كانت الصلاة منهجًا شاملًا مرتبطًا بمجالات الحياة كافة، وإذا كان الوقت هو رصيد الإنسان في الحياة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ

كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾[1] . وإذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»[2].

فالملاحظ السؤال عن عنصر الزمن والوقت مرتين في الحديث نفسه مما يؤكد الأهمية البالغة، إذ الصلاة هنا هي التدريب والتركيز العملي المنهجي علي أهمية تنظيم الوقت والتوقيتات والالتزام بالمواعيد ومفاهيم الأولويات الأمر الذي يمثل- خصوصًا- صلب الصلاة وأساسها، كما يمثل في الإسلام عموما.

ولقد نزل الوحي القرآني علي رسولنا الكريم ﷺ في زمن كانت البشرية فيه بعيدة تمامًا عن هذا المستوىٰ الدقيق من الفكر والمنهجية، لذلك أكد رسولنا ﷺ أن أحب الأعمال الي الله «**الصَّلاَةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»[3].

---

(1) سورة النساء: 103 .

(2) صحيح : أخرجه الترمذي (4/ 217) ، من حديث أبي بردة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال : « هذا حديث حسن صحيح »، وصححه الألباني في « السلسة الصحيحة » (2/ 629 رقم 946).

(3) متفق عليه: أخرجه البخاري (1/ 112) ، ومسلم (1/ 90) ، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعلوم أن مبدأ التوقتيات والأولويات والأفضليات واضح في أفضلية صلاة الجماعة في وقت الصلاة المقرر، ثم بعد ذلك تقل الأفضلية في الأجر والثواب كلما اقتربنا من توقيت فرض الصلاة التالي.

فمثلًا: إذا وصلنا للدقائق الأخيرة قبل أذان العصر تكون صلاة الظهر أقل أجرًا في هذه الدقائق، وهكذا، وتلك دقة بالغة، لا تُوجد في أي منهج آخر، وتحتاج لمن يفهم ويعتبر، لذلك تُسمي الصلاة في هذه الدقائق المتأخرة «**أداء الصلاة**»، وليس «**إقامة الصلاة**»، كما قرر القرآن الكريم، علي أفضل وجه.

❊ **الجانب الصحي الرياضي**:

إضافةً إلىٰ ما سبق بخصوص هذا الجانب من الصلاة، نجد توزيع فروضها بشكل متناسق علي مدار اليوم، تماشيًا مع الاعتبارات الصحية، والرياضية.

- وتؤكد الحقيقة العلمية أن تكامل نظافة الجسم المادية مع صفاء العقل والنفس الروحي يؤديان لبلوغ الإنسان أعلي درجات السعادة، مع القدرة علي الإنجاز العملي، وهنا ترد تفاصيل لا حصر لها، لكن نطاق هذا الكتاب لا يستوعبها.

كما تتأكد عظمة التعاليم الملزمة بالطهارة والوضوء الذي يشمل تفاصيل دقيقة بخصوص تنظيف أعضاء الجسم، حتىٰ جاء

في الحـديث النبـوي: « **إِذَا تَوَضَّـأْتَ فَخَلِّـلْ بَـيْنَ أَصَـابِعِ يَـدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ** »[1] .

فهنـاك خطـوط طاقـة رئيـسة موجـودة بـين أصـابع اليـدين والقدمين يتم تنشيطها بغسل هـذه الأجـزاء بالمـاء، كما أن الكثير من الحركات الرياضية التي تقوم بها في أثناء الصلاة هي عبارة عن تمـارين للطاقـة تـشمل كـل مـا توصـلت إليـه البـشرية في عـصرنا الحديث.

فمثلًا، وليس حصرًا، تكبيرة الإحرام بسحب وتحريك شـحمة الأذن، هي أصل فكرة وثمـرة مـا يـسمي بـالإبر الـصينية المعروفـة حاليًا.

كما أثبتت الأبحاث العلمية أن بعض حركات الصلاة الأخرى مثـل الـسجود تـؤدي إلـى الاطمئنـان، وتجنـب الـنفس الخـوف والاكتئاب، وهنا فإن التفاصيل الطبيـة والـصحية لا حـصر لهـا في هذا المجال.

هذا بشكل عام، أما بشكل خاص فنجد بالنسبة لصلاتي الفجر والتهجد أنه:

---

(1) صحيح : أخرجه الترمذي (1/ 88) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال : «هَـذَا حَـدِيثٌ حَـسَنٌ غَرِيـبٌ »، وصـححه الألبـاني في « صـحيح الجـامع » (1/ 141 رقم 452) ، وفي «السلسة الصحيحة » (3/ 291 رقم 1306).

جاء في فضل ركعتي النفل «الفجر» قبل صلاة الصبح قول رسول الله ﷺ: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** »[1].

فما بالكم بصلاة الصبح المفروضة التي أخبرنا الرسول ﷺ أن من جلس بالمسجد بعد صلاة الفجر في جماعة، يتعبد بالأذكار وقراءة القرآن حتي وقت شروق الشمس، ثم قام وصلىٰ ركعتي الضحي كانت له مثل أجر حج وعمرة، ففي الحديث ورد قول الرسول الله ﷺ: « **مَنْ صَلَّىٰ الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ** »[2]. فيا لها من عظمة.

والأمر هكذا، نستطيع أن نقول في الاستفادة من ذلك ما يكفي كتابًا كاملًا، فهو تأكيد لأهمية الصلاة– عمومًا– فهاتان ركعتا نفل لكنهما تؤديان لإصابة هذا الأجر العظيم، بشرط ارتباط ذلك بصلاة الصبح في جماعة، مع الاستمرار في التعبد حتي توقيت شروق الشمس.

وهو ربط واضح ودقيق بين صلاة الجماعة– خصوصا

---

(1) صحيح : أخرجه مسلم (1/ 501) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(2) حسن : أخرجه الترمذي (1/ 582 رقم 586) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال : « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ » ، وحسنه الألباني في « مشكاة المصابيح » (1/ 306 رقم 971) ، وفي « السلسلة الصحيحة » (7/ 1195 رقم 3403).

الفجر- والتعبد إلىٰ الله من خلال توقيتات محددة وصولًا إلىٰ أفضليات هائلة لدرجة الفوز بأجر وثواب الحج والعمرة، وأنت في مكانك، دون أي تكلفة مادية، ولا مشقة عملية.

أي أن: «**التعبد، الجماعة، التوقيتات، الدقة= الجوائز الكبري**»، فهل سمعت البشرية عن مثل ذلك من قبل؟

*** صلاة التهجد مع الفجر: قيام الليل وأثره في الوقاية من أمراض القلب:**

أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن الإنسان الذي ينام ساعات طويلة علىٰ وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب بنسبة عالية.

وتعليل هذه الظاهرة أن شحوم الدم تترسب علىٰ جدران شرايين القلب بنسبة أكبر إذا طالت ساعات النوم، مما يؤدي إلىٰ تعطيل عمل تلك الشرايين، وفقدها لمرونتها فلا تصلح لضخ الكميات المناسبة من الدم لتغذية العضلة القلبية.

ويزيد في السوء إحداث ترسبات دهنية تؤدي لتضييق الأوعية الدموية، وهو أمر بالغ الخطورة علىٰ صحة الإنسان.

والعجيب أن العلماء والأطباء ينصحون بأن يقوم الإنسان من نومه بعد 3 — 5 ساعات كحد أقصىٰ لإجراء بعض الحركات الرياضية للحفاظ علىٰ مرونة الشرايين القلبية، ووقايتها من

الترسبات الدهنية، وبالتالي تجنب الإصابة بأمراض القلب.

وفي هذا الصدد، حذر شرعنا الحنيف المسلم من أن يستمر في نومه إلىٰ ما بعد طلوع الشمس، إذ أمره بالنهوض الإجباري لأداء صلاة الفجر.

وهكذا يستشعر المسلم روعة إسلامه حين يسمع نداء الفجر الرائع: «**الصلاة خير من النوم**».. «**الصلاة خير من النوم**»، إذ يكررها المؤذن مرتين، كأنه وَعَىٰ أهمية هذا النهوض لأداء صلاة الصبح في الوقاية من الأمراض القلبية.

❊ الصلاة والمرأة الحامل:

تبين أن هناك فوائد لحركات الصلاة، خصوصًا للمرأه الحامل، إذ تكسبها الصلاة مرونة في معظم أعضاء الجسم، وتسهل حركة العمود الفقري مع الحوض مفصليًا، وتنشط الدورة الدموية في القلب والدماغ والشرايين والأوردة، مما يساعد علىٰ توصيل الغذاء إلىٰ الجنين بانتظام عبر الدم، كما يساعد في نمو الجنين نموًا طبيعيًا، مع عدم التعرض لدوالي القدمين، والمحافظة علىٰ مرونة مفاصل الحوض، وتقوية عضلات جدار البطن، وإعانة المعدة علىٰ تقلصها، وأداء عملها، وكذلك التغلب علىٰ عسر الهضم، وأخيرًا: رفع المعنويات، واكتساب الثقة بالنفس، والسيطرة علىٰ الجسم، وزيادة القدرة علىٰ التركيز.

❊ أذان الصلاة:

الأذان هـو التوجيـه الاسـتراتيجي للـصلاة؛ لـذلك يبـدأ بلفـظ الجلاله «الله»، وينتهي به أيضا، سواء كان ذلك في الأذان الأول أو في إقامـة الـصلاة داخـل المـسجد، لـذلك نجـد عظـم الأجـر والثـواب للمؤذن الذي يدعو الناس، ويوجههم إلىٰ الصلاة. وانظر إلىٰ روعـة وخـصوصية أذان الفجـر، بإضـافة عبـارة «الـصلاة خيـر مـن النـوم» بحيث يكررها المؤذن مرتين لتأكيد ضرورة الاستيقاظ لصلاة الفجر التي تحقـق كـل مـا يـصبو إليـه العاقـل مـن ثـواب الآخـرة، كمـا أكـد رسولنا ﷺ، فضلًا عن تحقيـق النجـاح في الـدنيا عمليًـا، بالاسـتبكار للبـدء في أنـشطة الحيـاة اليوميـة، فـضلًا عـن إحـراز الفوائـد الـصحية بالاستيقاظ من بين وسط ساعات النوم الطويلة، كما أوضحنا.

❊ ختامًا:

إن الصلاة كنز استراتيجي لا حدود لأهميته، ولا شـرح واف لـه، والعجيب أننىٰ لـم أسـتطع تخـصيص جانـب أو جـزء منهـا للمحـور الاجتماعي مثلًا، بحيـث يكـون الجـزء الأخيـر للمحـور الـصحي أو السياسي أو الإداري، وهكذا- كما أفعل دائمًـا- مثـل بقيـة مواضـيع الدنيا؛ لأن كل جزء من الـصلاة يـشمل كـل محـاور الـدنيا وجوانبهـا مجتمعةً: روحيًا، وماديًا، وفكريًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًـا، وإداريًا، وتنظيميًا، وصـحيًا، ونفـسيًا، ورياضـيًا.. إلـخ، خـصوصا إذا

تمت إقامتها بشروطها كما أمر المولي سبحانه وتعالىٰ بالقرآن الكريم، وليس فقط أداءها.. كما أسلفنا.

- فالصلاة منهج حضاري للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة، كقدوة لسائر أمم البشرية، فهي بالفعل «**عماد الدين**».

والصلاة هي الصلة اليومية بين الخالق والمخلوق، فهي تتم في اتصال مفتوح ومستمر مع المولىٰ سبحانه وتعالىٰ، والمصلي هو الذي يفتح قناة الاتصال هذه بتكبيرة الإحرام، وهو الذي يغلقها، كما يبدو خطأً للبعض، عن طريق السلام يمنة ويسرة، في نهاية كل صلاة.

إنها الحقيقة التي أراها، ويسعىٰ هذا الكتاب لتأكيدها، إذ تجسد الرؤية الاستراتيجية الحضارية التي ينفرد بها الإسلام، والتي تثبت عمليًا أن المسلم لا يغلق أبدًا قناة الاتصال مع المولىٰ سبحانه، طالما يعتقد ويؤمن ويفهم ويعي ويطبق القيمة الفعلية والثمرة الدنيوية للصلاة في كل مجالات حياته.

وبذلك يكون المسلم الحضاري في اتصال دائم بالله سبحانه وتعالىٰ: روحيًا وماديًا، في مجالات وأوقات وأزمات حياته كافةً، عن طريق:

« الصلاة.. التقوىٰ.. الصبر.. الخشوع.. التركيز ».

والله أكبر.. ولله الحمد.

الزكـــــاة

أول تأسيس وتطبيق لمفاهيم المدنية والمواطنة وأفضل نظام اقتصادي عرفته البشرية

الركن الثالث: الزكـــاة
أول تأسيس وتطبيق لمفاهيم المدنية والمواطنة وأفضل نظام اقتصادي عرفته البشرية

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[1]

الزكـاة «**الـركن الثالـث للإسـلام**» هـي المرتكـز التأسيـسي للمجتمـع، وأسـاس المفـاهيم المدنيـة والمواطنـة التـي اخترعهـا الإسلام لبناء الفرد والأسرة والمجتمع في الدولة، ثم الأمة لتفعيل الحـضارة الإسـلامية كقـدوة لنهـضة البـشرية، فالـصلاة والـصيام والحج حق للمولىٰ سبحانه– فقط- علي عباده، لكن الزكـاة حـق للمـولىٰ سـبحانه، وحـق للفقـراء أيـضًا علـي الأغنيـاء، قـال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

إن الزكـاة عبـادة اقتـصادية سياسـية اجتماعيـة، ماديـة معنويـة روحيـة، دنيويـة أخرويـة، وهـي حـق للمـواطنين، ولـيس فقـط للمسلمين، كما سنوضح ذلك لاحقًا.

وليست الزكـاة تفـضلًا مـن أحـد علي أحـد، إذ المنتفـع الأول منها هو مَنْ يخرجها. قال تعـالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ

(1) سورة التوبة: 11 .

(2) سورة المعارج : 24-25 .

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1] وقال الرسول ﷺ: « **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال** »[2]، ولأن الأغنياء بدون إخراج الزكاة يخسرون الآخرة، وقد يخسرون في الدنيا، أما الفقراء فقد يخسرون بدون الزكاة في الدنيا، ولكن لا يخسرون الآخرة، إذ الزكاة تطهير، وتزكية، ونماء، قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

إنها تطهير لأموال الأغنياء، وتطهير للأغنياء أنفسهم من الأنانية، وتطهير للمواطنين من الحقد والحسد؛ تحقيقًا لتماسك المجتمع، وتطهيرًا للدولة والأمة من التقاعس عن المسئولية الحضارية المنوطة بهما.

والزكاة رأس الحربة للتصدي للمثلث المضاد للإنسانية: «**الفقر والجهل والمرض**»، لأنها ليست وسيلة للإحسان فقط بل أيضًا للإنتاج والتنمية والنهضة الدنيوية؛ لذلك وجدنا أنه من حرص الإسلام علي توظيف الزكاة لبناء المجتمع والأمة جعل مسئولية جمعها وتوزيعها علي الدولة أولًا، وليس علي الأفراد-

(1) سورة سبأ : 39 .

(2) صحيح : أخرجه البخاري (9 / 62)، ومسلم (3 / 1459)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(3) سورة التوبة : 103 .

تقـاعس الدولـة لا يعفـي الأغنيـاء مـن إخراجهـا-، وهـو أمـر- للأسف- غير موجود في بلادنا حاليًا ونتطلع إلىٰ أن تقوم الدولة به قريبًا.

فالمفروض، والأفضل، أن لا يتولىٰ توزيع الزكاة من يجب عليه إخراجها، وإنما يتولىٰ ذلك جهة مسئولة، وفقًا للقوانين التي تنظم ذلك، لأن توزيع الزكاة مسئولية الحاكم أصلًا؛ لذلك نجد أنها تمثل أقدم وأفضل نظام اقتصادي سياسي اجتماعي نهضوي عرفته البشرية، بلا مثيل عالمي، كما سنوضح لاحقًا.

«**أقدم وأفضل**»؛ لأنك لن تجد ذلك في أي منهج أو مجال عرفته البشرية، فالإسلام وحده- ينفرد بشكل مطلق- بامتلاك الرؤية والمنهج الأقوم والأقدم والأفضل في الوقت نفسه في كثير من المجالات.

فتوزيع الزكاة يمثل منظومة تؤسس بالضرورة لضبط العلاقة بين الدولة والمجتمع، وهو هدف لسائر البشرية، وسائر الثورات قديما، وحديثًا....

فنحن هنا أمام جانبين:

الأول: تحصيل أموال الزكاة، ووضعها في صندوق.

الثاني: توزيع الزكاة علىٰ المواطنين برؤية وحسابات تستلزم- بالضرورة القاطعة- امتلاك نظام الحكم لرؤية شاملة لمجمل

أفـراد وشـرائح المجتمـع والدولـة ككـل وكوحـدة واحـدة؛ ليـتم تطبيق هذه الرؤية من خلال منظومة يشترك فيها بعض مؤسسات الدولـة.. لـيس فقـط مؤسسة صندوق الزكـاة، مثل جهـاز التعبئة العامة والإحصاء، ووزارتي الـشئون الاجتماعيـة والقـوىٰ العاملـة «**لمعرفة من يعمل، ومن لا يعمل**»، ووزارتي التخطيط والاقتصاد، وخلافهما... وهي آلية موجودة بدرجة معقولـة في الـدول الغربيـة المتقدمـة بمـا يتناسـب مـع أهـدافهم المحـدودة «مقارنـة بفلـسفة الزكـاة»، لـدعم المـواطنين الـذين لا يعملـون.. في أثنـاء فـترات بطالتهم.

ويستحيل أن يحدث ذلك في بلادنا إلا من خلال ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم في صورتها الحديثة «**الدولـة والمجتمـع**»، بحيث يكون الحاكم، وكل مؤسسات الدولـة في خدمـة المحكـوم والمجتمع، وليس العكس، وهو مشوار طويل يستحيل أن يبدأ إلا بكون الحاكم منتخبًا بنزاهـة، وحينهـا يـتم بنـاء مؤسسات الدولـة علي فلسفة أنها في خدمة الأفراد، تطبيقًا للرؤية الإسلامية عمومًا، ولمنظومة توزيع الزكاة خصوصًا.

والنجاح في تحقيـق أهـداف منظومـة الزكـاة في المجتمـع يعنـي الكثير حضاريًا.. هـذا الكثيـر بـلا مثيـل عـالمي، إنـه يعنـي العدالـة الاجتماعية التـي تحلـم بهـا البـشرية، ومـا قامـت الثـورات العربيـة

المباركة إلا لضبط العلاقة بين المجتمع والدولة بحيث يعطي المجتمع الشرعية للدولة- وليس العكس- وصولًا إلىٰ تحقيق الحرية، والعدالة الاجتماعية.

ولا أبالغ عندما أقرر أن فلسفة الزكاة الحضارية كفيلة بتسخير الدنيا بأكملها للبشر جميعًا علي الوجه الأمثل، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾[1].

لذلك نبه العلماء إلي أنه ليس المهم فقط تحصيل أموال الزكاة بل الأهم كيفية توزيعها، إذ عرف التاريخ ألوانًا كثيرة من الضرائب كانت تُجبىٰ، طوعًا أو كرهًا، ثم تُنفق وفق الأهواء الشخصية للحكَّام؛ لذلك حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة، وأوضحت السنة النبوية التفاصيل اللازمة لذلك، علمًا بأن هذا الكتاب لا يختص بذكر تفاصيل مصارف الزكاة الفقهية.

والواقع: إن تطبيق فلسفة الزكاة يمثل عنصرًا أساسيًا في تفعيل منظومة توحيد المولىٰ سبحانه وتعالىٰ بحماية المسلم من أي محاولات عنصرية للضغط علي عقيدته ومنهجه الإسلامي الشامل في الحياة، فعندما يستكفي ماديًا ومعنويًا يستطيع النهوض برسالته في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

---

(1) سورة الإسراء: 70.

*** الزكاة «الوسيلة والهدف»:**

كما أكدنا دومًا عبر هذا الكتاب: ترتبط أركان الإسلام بالتقوىٰ.

أولًا: كهدف إيماني عقائدي أخروي.

وثانيًا: كوسيلة للنجاح عمليًا دنيويًا.

وبالتالي فالزكاة « مثل الصلاة »، مرتبطة بالتقوىٰ في إطار ارتباط الصلاة نفسها بالتقوىٰ.

دليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[1].

- كما أن الزكاة مرتبطة بتطهير النفس، وتزكية من يخرجها، قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[2].

ويُلاحظ هنا الارتباط الوثيق بين الصلاة والزكاة، مما يجذب النظر إلىٰ أن عدم إيتاء الزكاة يمثل كارثة عقائدية شاملة، بالضبط

---

(1) سورة النساء : 77 .

(2) سورة التوبة : 103 .

مثل عدم إقامة الصلاة، فهل يعطي أغنياؤنـا أهميـة للزكـاة كأهميـة الصلاة نفسها؟

إن الارتباط واضح، ومتسلسل، ومتطابق:

« **الزكاة ثم التقوىٰ، ثـم التطهير والتزكيـة، ثـم البـر والإحسان وصولًا إلىٰ العدالة الاجتماعية**».

والحقيقـة هـي استحالة وجـود سعادة حقيقيـة روحيـة ماديـة للأغنيـاء «**العقـلاء**» في ظـل وجـود فقـراء، ومعـدمين، كمـا أننـا لا نتصور تحقيق الأمن والسلام الاجتماعي في مجتمع بـدون تفعيـل ركن الزكاة.

لـذلك فالمقـصود مـن ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ الفرضـية، والإجبـار، فالحاكم الشرعي لابـد مـن أن يقـوم بتحـصيل أمـوال الزكـاة وفقًـا لحسابات دقيقه معلومـة في الفقـه الإسـلامي، كمـا يجـب أن يقـوم الأغنيـاء بـإخراج الزكـاة إذا مـا تقـاعس الحـاكم عـن ذلـك، إذ الواجب الشرعي متبادل بين الحـاكم والأغنيـاء، وهـي معادلـة لا مثيل لها علي وجه الأرض.

كمـا نجـد أن الزكـاة هـي أعلـىٰ وعـاء لتحقيـق عوائـد وأربـاح استثمارية عرفتـه البشرية لـرأس المـال، إذ تقـول الآيـة الكريمـة:

﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ

﴿ ١٧ ﴾[1].

والأضعاف المقصودة في الآيةُ « يُضَاعِفْهُ لَكُمْ » لا حصر لها، وانظر إلىٰ كلمة « تُقْرِضُوا »، وتخيل أنك تقرض رئيس البلاد أو ملكًا متوجًا، أي شرف أعظم من ذلك؟ فما بالك إن كنت تقرض المولىٰ سبحانه وتعالىٰ؟ هل هناك تقدير إلهي أعظم من ذلك لتفعيل منظومة الزكاة؟

لذلك يقول المولىٰ -سبحانه- بعمق جاذب للنظر: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣﴾[2]، فالربط مؤكد بين الإيمان بالدين أو التكذيب بالدين، وإطعام المسكين، بل أيضًا: والحض علىٰ ذلك، بمعنىٰ ربط العقيدة الأخروية بالشريعة الدنيوية، كوسيلة للنجاح في الدنيا، وهدف للفوز في الآخرة عن طريق الزكاة.

كما يعني تأكيد ربط ذلك بالصلاة « **عماد الدين** »، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن﴾[3]، وليس فقط: « ويل للذين لا يصلون إطلاقا »، وليس فقط: « **ويل للذين هم ساهون عن الالتزام بتفعيل إقامة الصلاة بالمعنىٰ الحضاري**

(1) سورة التغابن :17.
(2) سورة الماعون :1-3.
(3) سورة الماعون :4-5.

الشامل»، كما أوضحنا في باب الصلاة بل: « **ويل أيضًا للـذين هـم ساهون عـن الزكـاة**»، إذ الارتبـاط وثيـق بـين الـصلاة والزكـاة، و«**ساهون عن الصدقات والإطعام والدعوة لذلك**» .

والمقصود: « **ساهون**»، وليس فقط «**ممتنعون بالكلية**»، فيا لـه من فوز ونجاح للمسلمين إذا فهموا ذلـك كـذلك، وطبقـوا الزكـاة كفريضة شرعية، وضرورة دنيوية.

ونلاحـظ الاسـتراتيجية الحـضارية التطبيقيـة التـي تـستوعب تطورات كل العصور أيضًا في الآية القرآنية الكريمـة: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾[1]. فكـل كلمـة في هـاتين الآيتين تستلزم بحثًا كاملًا، ولكن فيما يلي اجتهاد بسيط:

« **حـق**» تعنـي الكثيـر، ونخـص بالـذكر: تأكيـد مدنيـة وفاعليـة ودنيويـة وحـضارية نظـام الزكـاة، فهـي حـق للعبـاد، ولـيس فقـط للمولىٰ سبحانه وتعالىٰ مثل الصلاة والصيام والحج، و« **معلـوم**» تعني حسابات دقيقه كفيلة بإنجاز التطبيق اللازم في كل الحالات، أمـا «**الـسائل والمحـروم**»، بعطـف المحـروم علـىٰ الـسائل، فهـي معجزة قرآنية تستوعب كل حالات وتطورات العصر، فالمطلوب أن تعطـي وتحـترم لـيس فقـط الـسائل بـل أيـضًا المحـروم فكيـف ستعرف المحـروم الذي لـم يسأل أحدًا؟

---

(1) سورة المعارج :24 -25 .

- الإسلام يوجب هنا تحقيق آلية تنظيمية دقيقة للبحث عن المحروم، وتحديد أولويات استحقاق كل فرد وأسرة للزكاة، بمعنىٰ التعبد لله سبحانه بالعطاء، وأيضًا بالبحث عن المستحقين، من أجل تحقيق الدرجة القصوىٰ من كفاءة وفاعلية توزيع الزكاة، وهو أمر يتطلب - بالضرورةِ- بذل الحد الأقصىٰ من الجهد الذهني الفكري والتخطيطي، وكذلك المادي والحركي: الفردي والجماعي والمؤسسي؛ لتحقيق هذه العبادة المبهرة.

*** للأغنياء ورجال الأعمال:**

معلوم أن المال من أهم عناصر إقامة الحياة، ومعلوم أيضًا أن الإسلام يؤكد أهمية السعي لتحصيله كفريضة شرعية، وضرورة دنيوية، بالوسائل المشروعة، بشرط أن يكون المال «**وسيلة وليس هدفًا في حد ذاته**»؛ لإقامة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة، وفقًا لمنهج الإسلام، إذن لابد من أن يكون معلومًا كيفية التصرف في هذا المال، **فنحن هنا بصدد مسارين:**

أولًا: تحصيل الأموال.

ثانيًا: التصرف في الأموال.

التصرف في المال إجمالًا يتحقق بما يلي:

أ- الإنفاق علي نفسك، ومَنْ تعول.

ب- الإنفاق علي الآخرين.

ولأن موضوعنا هو الإنفاق علىٰ الآخرين «**الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله**»، فإن السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا يفعل الأغنياء ورجال الأعمال لتحقيق الجودة والفاعلية في هذا الإطار؟

للإجابة عن هذا السؤال يجب أن ننظر إلىٰ ما يفعلونه من أجل تحصيل الأموال، سنجد منظومة هائلة، ولا نهائية، ويستحيل حصرها من جهود عمل: دراسات أكاديمية، وتدريبات متخصصة، وتأسيس شركات، وتوظيف كفاءات، وعلاقات عامة، وإقامة مؤتمرات، وعقد تحالفات، وإنجاز سفريات بل عقد زيجات وعلاقات اجتماعية دقيقه، أي أن رجل الأعمال يقوم اليوم بتكريس مجمل قدراته وإمكاناته وحياته من أجل تحصيل أمواله.

لكن: ماذا يفعل رجل الأعمال لإخراج الزكاة، والصدقات، علىٰ الوجه الأمثل؟

هذه هي القضية، قضية الزكاة، ونهضة المجتمع، بمعنىٰ أنه:

- هل الأهم: تحصيل المال أم التصرف فيه بالبحث عن المحروم بأعلىٰ كفاءة ممكنة بما يماثل كفاءة تحصيل المال المذكورة ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

إن بعض الأغنياء يكرس حياته لتحصيل المال، وعندما يخرِج الزكاة يتصرف كأنه يتخلص من الأموال المفروض إخراجها، وبأقل درجة من الاهتمام، فهل الدنيا أهم من الآخرة ؟ وهل هناك تعارض بينهما ؟

والأمر هكذا، أرىٰ ضرورة التركيز- بالدرجة نفسها- علىٰ كلا المسارين، بشرط تحصيل الأموال بالوسائل المشروعة، وبنية صادقة؛ لتحقيق مزيد من النجاح في المسار الثاني « **دون التقصير في الإنفاق علي نفسك، ومَنْ تعول** »؛ لتحقيق نهضة المجتمع، وإقامة الإسلام، بالنجاح في الدنيا، والفوز بالآخرة.

كما أن نجاح منظومة الزكاة لابد من أن يكون ماديًا وروحيًا أيضًا؛ لأن المولىٰ سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾[1]، لدرجة أن إهمال احترام الفقراء يصل إلىٰ درجة عدم الإيمان بالله، وباليوم الآخر، والعياذ بالله.

*** ربط الزكاة بالبر والإحسان:**

ربط الله تعالىٰ الزكاة بالصلاة والتقوىٰ والبر.. فقال سبحانه:

---

(1) سورة البقرة :264 .

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٩٢﴾ (1).

وقال سبحانه ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ (2).

ويعني هذا الربط في الآيتين الكريمتين السابقتين للزكاة بالصلاة والتقوىٰ والبر، الربط أيضًا بين كل من:

« **الزكاة، والتقوىٰ، والتزكية، والتطهير، والبر، والإحسان، ثم العدالة الاجتماعية** ».

فلابد لأصحاب الأموال من أن يستقطعوا « مما يحبون»، وليس فقط «**مما يمتلكون**»، من الأموال والممتلكات والأوقات والمجهودات والقدرات الشاملة، لتحقيق نجاح وكفاءة منظومة الزكاة، والله سبحانه « **عليم** » بكل شيء.. كما تقرر الآية: ﴿وَمَا

(1) سورة آل عمران :92 .

(2) سورة البقرة : 177.

تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾[1]، علـيم بالإنفـاق مـن حيـث الأموال والبذل، وعليم بالمجهودات، والأوقات، وغيرها.

- إن الزكاة وسيلة للنجاح في الـدنيا، وهـدف للفـوز بـالآخرة، وهذه الخصوصية الموجودة في فلسفتها ليست فقـط لأنهـا حـق لله سـبحانه وتعـالىٰ مثـل بقيـة الأركـان، وإنمـا لأنهـا أيـضا حـق للمـواطنين، كمـا في الآيـة الكريمـة: ﴿حَقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

- ومن أهم الأمثلة لتأكيـد هـذا المعنـىٰ مـا حـدث مـن حـروب «**مانعي الزكاة**».

*** الزكاة والحرب ضد « مانعي الزكاة »:**

كانت الحروب ضد مانعي الزكاة، التـي تُـسمىٰ خطأ «حـروب الردة»، علىٰ عكس ما يعتقد الكثيرون حاليًا- جهلًا أو عمدًا- من أنهـا كانـت بهـدف تحـصيل أمـوال الزكـاة، ولـيس بهـدف محاربـة الخـارجين عـن العقيـدة الإسـلامية؛ لأن العقيـدة لا تفـرض علـىٰ أحـد الـدخول في الإسـلام، كمـا لا يفـرض علـىٰ أحـد أيـضًا الاستمرار في عقيدة الإسلام[3].

(1) سورة آل عمران :92 .

(2) سورة المعارج :25 ـ 26 .

(3) موضوع كتاب آخر.

فقد قام سيدنا أبو بكر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بحرب مانعي الزكاة، بهدف تحصيل الزكاة بالقوة من أولئك القادرين علىٰ إخراجها، لكنهم يمتنعون عن إخراجها، في تحدٍ سافر لمنظومة الدولة الإسلامية.

ومن المهم جدًا أن نعي هنا أن هؤلاء لم يخرجوا أصلًا عن العقيدة بل خرجوا عن إعطاء أموال الزكاة لخليفة المسلمين «**الحاكم**».. فلم نسمع أبدًا عن حروب إسلامية تستهدف إجبار الناس علي الصلاة أو الصيام أو الحج؛ لأنها أركان تمثل حقًا لله سبحانه وتعالىٰ فقط.

ولننظر الآن: كم يحرص الإسلام علي دفع الحاكم كي يقوم بتحصيل الزكاة، لتحقيق مصلحة المواطنين أولًا... باعتبار أن الإسلام يضع حقوق المواطنين في الزكاة «**مسلمون وغيرهم**» في أعلىٰ مستوىٰ من مستويات الحقوق.. لدرجة أن يقوم الحاكم الشرعي بتحصيلها من الأغنياء بالقوة «**يحدث ذلك حاليا بالنسبة للضرائب، ولا يحدث بالنسبة للزكاة!**».

ويستحيل أن يكون ذلك إلا بهدف تحقيق المصلحة المدنية الوطنية والحضارية لكل الأفراد والمجتمع والدولة والأمة، لا سيما أن أموال زكاة وصدقات المسلمين تكفي وتزيد عن احتياجات الفقراء.. وما أكثر فقراءنا الآن أيها الأغنياء.. فأين نحن منهم، ومن إخراج الزكاة لهم؟

- هكـذا «**اختـرع**» الإسـلام حريـة العقيـدة والمواطنـة عنـدما كانت البشرية تعيش في ظلمات حالكـة، وأكـد- وجوبًا وشـرعًا- ضرورة إخـراج الزكـاة، وكونها حقًـا للفقـراء، والمساكين..إلـخ، بكل قـوة وإصـرار، وبـلا مثيـل عـالمي، وذلـك تحقيقًـا للمصلحة البشرية في الأساس.

*** الفلسفة الاقتصادية الحضارية للزكاة:**

الإسلام= عقيدة وشريعة= حضارة.

العقيـدة هـي كـل مـا يـشمل العلاقـة المباشـرة بـين الخـالق والمخلوق، أما الشريعة فهي كل ما يشمل علاقة النـاس بعـضهم بـبعض: في الأسـرة والمجتمـع والدولـة.. وعلاقـة المـواطنين بالمؤسسات والعكس، وهكذا.

الزكاة أيضًا من أهم أسس تفعيل العلاقة بين المواطنين، وهـي ركيـزة الأركـان الخمسة في تفعيـل العلاقـة الناهـضة بـين الإنـسان وأخيه الإنسان.

- «**إن الزكاة عقيدة إلهيـة، وشـريعة دنيويـة أخرويـة، ومواطَنـة مدنية، وفضيلة أخلاقية، وتزكيـة نفسية، ماديـة وروحيـة، وحقيقـه علمية، وآلية ماليـة، وتنميـة اقتـصادية، وحريـة سياسـية، تـستهدف الوصول إلىٰ عدالة اجتماعية، ونهضة إنسانية، وقـدوة للبـشرية**»..

قـــال تعـــالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾[1].

فالزكـاة تمثـل- بالفلـسفة والمنظومـة التـي يريـدها الإسـلام- قـدرات شخـصية، وإمكانـات نفـسية توضـح مـن هـم: عظمـاء الأغنياء، وليس فقط، الأغنياء.. فلا أحد يـستطيع الإنفـاق والبـذل مما يحب «أموال، ومجهودات» إلا أصحاب الـرؤىٰ والرسـالات الإنسانية العظيمة التي تمثل أساس الحضارة الإسلامية، في الحياة وعلىٰ أرض الواقع.

❊ الزكاة فلسفة مدنية تؤسس للمواطنة بامتياز:

تمثـل الزكـاة أهـم أسـس تحقيـق نهـضة اقتـصادية اجتماعيـة حضارية كقدوة للبشرية. ومعلوم أن الجامع الحضاري الإسلامي للأمة لا يفرق بين ذوي العقائد والمـذاهب والثقافـات المختلفـة، فـالجميع شـارك في بنـاء الحـضارة الإسـلامية علـىٰ مـر التـاريخ، والجميـع متـساوون أمـام شـريعة الإسـلام التـي تمثـل أسـاس الدستور والقـانون، فالزكـاة لجميـع المـواطنين: مـسلمين، وغيـر مسلمين.

ذلـك وفقًـا لمَـا قررتـه الآيـة القرآنيـة الكريمـة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ

---

(1) سورة الإسراء: 70.

لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [1]، إذ لم تذكر أي شرط يحدد في مصارف الزكاة أن يكون المستحق لها مسلم العقيدة.. علمًا بأن كلمة «**الصدقات**» هنا تعنى «**فريضة الزكاة**» أي أن الإسلام اخترع مفاهيم المدنية والمواطنة والمساواة بين الجميع.

بل إن تأكيد الزكاة على فكرة المواطنة أعمق وأكثر تركيزًا ودقةً مما هو معلوم عالميًا حاليًا، فلا يجوز أن تنتقل من قرية أو حي من الأحياء أو مدينة إلي قرى أو أحياء أو مدن أخرى إلا بعد تحقيق أهداف الزكاة بكفاية الفقراء في القرى أو الأحياء أو المدن الأصلية التي خرجت منها الأموال، وهكذا بالنسبة للدوائر الجغرافية الأوسع مثل المحافظات المختلفة وفقًا لمنظومة شاملة للزكاة تقرها المؤسسة الوطنية المسؤولة عن ذلك، وبالتنسيق مع المؤسسات الأخرى.

ويمثل ذلك أعلى مستوى في استراتيجية تفعيل وإدارة منظومة الزكاة بتحديد المسئولية بدقة بالغة داخل دوائر الانتماء المدنية المجتمعية الوطنية من الأضيق إلي الأوسع جغرافيًا.. قال رسول

---

(1) سورة التوبة :60.

الله ﷺ: « **أَلَا كُلُّكُــمْ رَاعٍ وَكُلُّكُــمْ مَــسْؤُولٌ عَــنْ رَعِيَّتِــهِ** »(1) .

وبالمفهوم نفسه نجد التركيز ذاته علي الأقرباء والأرحام، الأقرب فالأقرب، وهكذا، **فالزكاة محلية، عائلية، مدنية، وطنية، قومية، حضارية، عالمية، إسلامية... تؤسس لشرعية والتزام قانوني دستوري إلهي، فلم نسمع عن ما يماثل أو يشابه أو حتىٰ يقترب من نظامها المُحكم علىٰ وجه الأرض.**

ولننظر إلي صدقة عيد الفطر إذ يخرجها الفقراء مثل الأغنياء، فالفقير يتلقي هذه الصدقة من الأغنياء ثم يعيد إخراج جزء منها، والحكمة في ذلك أن يشعر كل أفراد المجتمع بالمتعة الروحية الإنسانية في البذل المعنوي والمادي قدر المستطاع.

لذلك تنطلق فلسفة الزكاة، خصوصًا، والفكر الإسلامي عمومًا، من الواقع، وإلىٰ الواقع، بهدف استيعاب المشكلات، وتقديم حلول حاسمة، ماديًا ومعنويًا، من أجل تحقيق نهضة، وقدوة حضارية إنسانية شاملة.

*** وسطية الإسلام وفوقيته بالنسبة للرأسمالية والاشتراكية:**

الزكاة أهم أسس التوازن في الإسلام بين الفرد والمجتمع لتحقيق العدالة الاجتماعية.. ذلك أن فكرة الرأسمالية منحازة

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (9 / 62)، ومسلم (3 / 1459)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

بالأساس للفرد علي حساب المجتمع، مما يؤدي إلي الظلم الاجتماعي بانتشار نسبي للفقراء في مجتمعات تحتوي علي كم كبير من كبار الأثرياء.

ومعلوم أن الاشتراكية منحازة للمجتمع علي حساب الفرد بحجة أن يعيش الجميع علي المستوىٰ المادي نفسه، مما يؤدي لإهمال التأثير الطبيعي اللازم لعنصر الكفاءة والاجتهاد من مواطن لآخر، وبالتالي: كبت القدرات والإبداع علي حساب نهضة المجتمع.

ولا يخفىٰ علي أحد تدهور الاشتراكية بانهيار الاتحاد السوفيتي الممثل العالمي لها فضلًا عن بداية فشل الرأسمالية بالأزمة المالية العالمية العقارية خصوصًا في الولايات المتحدة، التي دفعت كثيرين من خبراء العالم لدراسة الاقتصاد الإسلامي، كما أنه معلوم الفشل الذريع للرأسمالية والاشتراكية- معًا- في الجانب الاجتماعي، من حيث التفكك الأسري، وانتشار الإباحية والشذوذ والمخدرات، وغيرها من الظواهر الاجتماعية.

*** القاعدة الاقتصادية الذهبية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

« المواطنون في الظروف العادية يتساوون في حد الكفاية.. أما في ظروف الفقر والمجاعة فيتساوون في حد الكفاف».

في الظروف العادية لابد أن تقوم مؤسسات الدولة بحساب

متوسط القيمة المالية الشهرية التي تحتاج إليها كل أسرة لتستطيع أن تعـيش حيـاة كريمـة يحـددها الخـبراء في مجـالي الاجتمـاع والاقتصاد.

وبداهةً: تختلف هذه القيمة نظرًا لعدد أفراد كل أسرة، إذ تتم مقارنة هذه القيمة الشهرية لحد الكفاية بالدخل الشهري الذي تحصل عليه كل أسرة في الواقع.. فإذا كان المطلوب لحد الكفاية أقل من الدخل الشهري للأسرة فبها ونعمت، أما إذا حدث العكس فيعني ذلك أن هذه الأسرة أو مجموعة الأسر تحتاج إلىٰ دعم شهري من الدولة يتم تحديد قيمته لكل أسرة، وبالتالي معرفة القيمة الإجمالية المطلوبة شهريًا لدعم تلك الأسر مجتمعة.

وعلي الدولة توفير هذه القيمة الإجمالية من أموال الزكاة من الأغنياء- كما سنوضح- ولا يعني ذلك- بداهة- أن الدولة تشجع المواطنين علي عدم البحث عن فرص عمل بل يتم ربط هذا النظام مع فرص العمل المتاحة، فإذا امتنع المواطن عن ممارسة أي فرصة عمل يتم حرمانه من الدعم الشهري، ذلك أنها منظومة يتعاون فيها بعض مؤسسات الدولة التي تعمل علي خدمة الشعب؛ لذلك ذكرنا سلفا وزارة القوىٰ العاملة.

أما في ظروف الفقر والمجاعة فيتم عمل الإحصاءات وتنفيذ

المنظومة السابقة نفسها لحساب القيمة الشهرية اللازمة لكل أسرة بحيث تعيش حسب الحد الأدنىٰ من ضروريات الحياة «**قبل الهلاك**»، فإذا افترضنا- مثلًا- أن المبلغ اللازم لأسرة مكونة من أربعة أشخاص في الظروف العادية هو ألف وخمسمائة جنيه شهريًا كحد للكفاية، فإنه في ظروف المجاعة يكون مثلًا سبعمائة جنيه شهريًا كحد للكفاف، وبالطبع تختلف هذه الحسابات للوصول لحدي الكفاية والكفاف من زمان ومكان، إلىٰ زمان ومكان آخرين، ومع اختلاف الظروف أيضًا، بحيث يتحول بعض البنود غير الضرورية إلىٰ ضرورية، في وقت من الأوقات.

وتأخذ الدولة من الأغنياء «**بقدر محسوب بالنسبة إلي درجة ثرائهم وفقًا لفقه الزكاة المعلوم**»، وتعطي الفقراء الذين لا يستطيعون- دون دعم- الوصول إلىٰ حدي الكفاية أو الكفاف، وبذلك يتساوىٰ الجميع في كل الظروف في الشق العام بشأن المجتمع كما تريد الفلسفة الاشتراكية، وبعد تحقيق ذلك، وبعد قيام الأغنياء والقادرين بدورهم الوطني الشرعي تجاه عامة المجتمع، يطلب الإسلام بل يوجب علي ذوي القدرات والكفاءات والطموحات والإبداعات أن يعملوا ويجتهدوا لتحقيق أقصىٰ قدر ممكن من الثراء دون سقف أو حد أقصىٰ.

وبذلك تتحقق الفلسفة الرأسمالية بخصوص إطلاق العنان

للمـواطنين المتميـزين لتحقيـق النجـاح والثـراء، تطبيقًـا للتـوازن والوسطية بين الفرد والمجتمع، بحفظ كرامة وأمن وسلامة عامة أفراد المجتمع أولًا، ثم إطلاق العنان للإبداع الفردي والجماعي، تحقيقًا للتنمية، والنهضة الإنسانية: المادية والروحية .

والمقارنة هنا لازمة، ذلك أن المسلمين لم يتخلفوا عـن ركـب الحضارة إلا ببعدهم عن منهجهم النهضوي الحضاري في حين تـأخر الآخـرون بـسبب الالتـزام بأفكـارهم وتوجهـاتهم الوضـعية «الاشتراكية أو الرأسمالية» المصادمة للفطرة الإسلامية الربانية.

إن فلسفة الإسلام الاقتصادية التي استقرت، ونجحـت عمليًـا علىٰ الأرض منـذ قـرون كثيـرة قبـل ظهـور الفكـرين: الرأسـمالي والاشـتراكي.. هــذه الفلـسفة تتـضمن كـل مميــزات الفكــر الرأسـمالي، بـدون عيوبـه، كمـا تـشمل أيـضًا كـل مميـزات الفكـر الاشتراكي بدون عيوبه أيضًا.

وإن تحقيـق حـد الكفايـة أو حـد الكفـاف للجميـع أمـر لازم شـرعًا.. يجـب علىٰ الحـاكم والأغنيـاء الوفـاء بـه، حتىٰ إذا كـان إجمالي الأموال المطلوبة لـذلك أكثـر مـن إجمـالي أمـوال الزكـاة المفـروض تحـصيلها مـن الأغنيـاء. « **بحـسابات دقيقـة معلومـة فقهيًا**».

وفي هـذه الحالـة يـتم تحـصيل الزيـادة المطلوبـة مـن الأغنيـاء

«**نسبيًا تبعًا لدرجة ثراء كل منهم**»، حتىٰ يتم تحقيق أحد حدي الكفاية أو الكفاف، لذلك قال الإمام علىٰ بن أبىٰ طالب رضي الله عنه: «**إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَىٰ الأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَكْفِي فُقَرَاءَهُمْ**»[1]، وهي عظمة إنسانية لا مثيل لها، إذا تحققت.

ومعلوم أن حد «**النصاب**» هو الفيصل الذي يفرق بين الفقر والغنىٰ في الإسلام، بحسابات دقيقة، تستوعب تطور العصر، وهو أمر مستقر في الفقه الإسلامىٰ، ولا يدخل في مجال بحث هذا الكتاب.

ـ والأمر هكذا، نستخلص مما سبق أن الإسلام لا يسمح بتحقيق الثروة للأغنياء بدون حد أقصىٰ إلا بشرط لازم شرعًا، هو القضاء علىٰ الفقر، لذلك فُرضت الزكاة، كركن من أركان الإسلام.

ـ فالإسلام لا يعترف بالملكية الخاصة للمواطنين إلا بعد وصول جميع المواطنين لحد الكفاف، كما لا يعترف بإطلاق الحد الأقصىٰ للثراء إلا بعد وصول جميع المواطنين إلىٰ حد الكفاية.

ـ وفي الوقت نفسه، فرض الإسلام علىٰ ذوي القدرات والإمكانات ضرورة السعي[2] والعمل لتحقيق تنمية اقتصادية،

---

(1) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (7/ 37)، وفي «الصغرىٰ» (2/ 77).

(2) انظر: السعي في ركن الحج صـ 98 من هذا الكتاب.

ونهضة حضارية، وقدوة للبشرية.

ـ نستطيع أن نقول إذن إن أي مجتمع يقترب أو يبتعد عن صفة «**إسلامي**» بقدر ما يتم تحقيقه لكل مواطن من حدي الكفاية أو الكفاف.. ولا نتصور اكتمال السعادة لأغنياء المسلمين بدون النجاح في ذلك.

ـ وفي المقابل، لم تقم نُظُم الحكم بالاستبداد والفساد إلا بكل ما هو ضد ذلك، لذلك فالدولة الإسلامية ملزمة ومسئولة شرعًا- بكل مؤسساتها- بأن تكون علىٰ المستوىٰ المهني والتخصصي الذي يسمح لها بالوصول إلىٰ عمل جميع الدراسات والإحصائيات المطلوبة، من أجل تفعيل منظومة الزكاة في المجتمع.

*** الزكاة والضرائب الوضعية:**

الزكاة ﴿حَقٌّ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [1]، كما جاء في القرآن الكريم.. حق علىٰ الأغنياء للفقراء، وكل من تشملهم مصارف الزكاة، وبغض النظر عما إذا كانت أموال الأغنياء تدور في تجارة أو أنشطة أخرىٰ، ونتج عن ذلك أرباح أو خسارة أو حتىٰ لو كانت الأموال مجمدة لا تُستثمر، فالزكاة واجبة في كل

(1) سورة المعارج: 24، 25 .

هذه الحالات، وغيرها، علىٰ رأس المال، أو أي أصول عقارية أو زراعية أو ذهب أو خلافه، وفقًا لحسابات وقواعد فقهية معلومة.

ـ وعلىٰ العكس تُفرض الضرائب علىٰ رأس المال العامل في أنشطة في حالة الربح فقط؛ لذلك نجد أن الزكاة تدفع الأغنياء لاستثمار أموالهم، وعدم كنزها؛ حتىٰ لا تأكلها الزكاة علىٰ مر السنوات، وهو أمر يدفع لتنشيط عجلة المجتمع، ومحاربة البطالة.

ولابد هنا من انفصال ميزانية الزكاة تمامًا عن أي ميزانيات أو أوعية مالية أخرىٰ للدولة، ولا يجوز إنفاقها في أي من المجالات التي تنفق فيها أموال الدولة الأخرىٰ، مثل الضرائب وغيرها من الموارد، كما لا يجوز إنفاقها في رصف الطرق أو إنشاء شبكات المياه أو الكهرباء أو تمويل الإنفاق العام أو أي خدمة من الخدمات المُكرسة لمصلحة أفراد المجتمع «أغنياء، وفقراء».

ـ بل تُنفق الزكاة فقط في مصارفها الشرعية التي تحددها الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [1]، وليس تناول هذه المسألة،

(1) سورة التوبة : 60 .

محل نقاش هذا الكتاب، لكن نجذب النظر فقط إلىٰ أن أحد مصارفها «**الغارمون**»، وهم الذين استغرقتهم الديون لأسباب خارجة عن إرادتهم، وذلك من أجل سد حاجاتهم الضرورية.

ـ إذ ما عرفت البشرية شريعة، ولا قوانين- غير الإسلام- أوجبت في صلب أركانها أو مناهجها سداد ديون المدينين، وجعلت من ذلك فريضة، بل وقربىٰ إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

ومعلوم أن الميزانية العامة الإجمالية للزكاة ليست ثابتة، ولا محدودة بسقف معادلات حسابية بشرية كالضرائب، بل هي حسابات دقيقة لها مرجعية إلهية تحدد قيمة الزكاة المفروضة علىٰ كل حالة من حالات رؤوس الأموال، أو الأصول العقارية أو الزراعية أو الذهب أو الفضة أو الأموال التي تدور في تجارة وغيرها، بلا استثناء، وبدقة بالغة.« حق معلوم».

ـ وترتفع هذه الميزانية عن السقف المحسوب، بمقدار ما يلزم لتحقيق أحد حدي الكفاية أو الكفاف، كما ذكرنا، وهو أمر شديد الخصوصية الإسلامية، ولا مثيل له ألبتة في العالم، ذلك أن العدالة الاجتماعية لا يمكن تحقيقها بمجرد تحصيل قيمة مالية ثابتة من الأغنياء مثلما يحدث في الضرائب، وفي الدولة الغربية، لأنها قد تكفي الفقراء أحيانًا، وقد لا تكفيهم في أحيان أخرىٰ، وذلك باختلاف الأحوال الاقتصادية، ما بين الركود والكساد،

ولأن أموال الضرائب تُنفق - كما أسلفنا - في مجالات أخرىٰ كثيرة بخلاف تحقيق حد الكفاية للفقراء ومستحقي الزكاة كافةً.

– لذلك تمثل الزكاة قيمة نسبية من رأس المال أو الأصول أو الأنشطة، وليست قيمة تصاعدية مثل الضرائب لأنها لا تحتاج إلىٰ ذلك، باعتبار أن سقفها الأعلىٰ هو تحقيق حد الكفاية، ويعنىٰ ذلك أن الزكاة فلسفة واقعية إنسانية حضارية تنطلق من الواقع، وتهدف بالضرورة إلىٰ أن تُختتم بحل مشكلات الواقع العملي للمواطنين، علىٰ أن يكون ذلك علىٰ مستوىٰ الواجب شرعًا، وهو ما لم، ولن نسمع عن مثيل له، في الأنظمة العالمية كافةً؛ لأن رسالة الإسلام هي الرسالة الإلهية الشاملة الخاتمة الخالدة.

ــ ومعلوم أيضًا أن نظام الحكم الإسلامي له أن يفرض الضرائب الوضعية، بخلاف الزكاة، وفقًا لما تقتضيه المصلحة العامة، بشرط أن يتم ذلك من خلال الوسائل التشريعية المقررة شعبيًا.

ــ والذي يستحق الذكر هنا - دون تفصيل - أن هناك ثلاثة التزامات مالية، كل منها مستقل تمامًا عن الآخر، هي:

أولًا: الزكاة.

ثانيًا: الإنفاق في سبيل الله. ثالثًا: الضرائب الوضعية.

*** الزيادة والنماء محصلة نهائية:**

إن الزكاة طهارة وتزكية للنفس، وهي حصانة ربانية للمال من الشح والبخل، وهي شكر لله تعالىٰ، كما أنها تعني البركة والنماء، باعتبار أن إخراجها يزيد من ثراء الأغنياء، وليس العكس.. قال تعالىٰ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾[1].

والصدقات هنا هي الزكاة أو الصدقات، جاء في الحديث النبوي قول رسول الله ﷺ: « **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ** »[2]، وهذه مفاهيم عقائدية غيبية، أُخروية وفعلية، دنيوية وحضارية، تؤسس لعدالة اجتماعية، ونهضة شاملة: مادية، وروحية، لكل الإنسانية.

ويفصل العلماء في شرح هذه التركيبة الدنيوية الأخروية، وكيفية حدوث ذلك من حيث « يربي الله الصدقات»، و« مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»، بأنه حتىٰ إذا نقص المال عدديًا من ناحية الكمية الحسابية، فإن الثمرة والبركة الفعلية تزداد في ما تبقىٰ من أموال؛ لأنه قرار إلهي ثابت بنصوص الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

---

(1)سورة البقرة:276 .

(2)صحيح : أخرجه مسلم (4 / 2001) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهكذا، تكون المحصلة النهائية لإخراج الزكاة أو الصدقات- بكل تأكيد- هي زيادة ثمرة الأموال المتبقية، بعد إخراجها، مقارنة بما كان أو سيكون عليه حال هذه الثمرة في حالة عدم إخراج هذه الزكاة أو الصدقات. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

* **والخلاصة**: أن الزكاة هي المرتكز التأسيسي المدني الإسلامي بحيث لا يمكن أن تستقيم العقيدة، وتطمئن النفس، ويُطبق منهج الله سبحانه، إذا لم يطمئن المواطن في حياته، وإذا لم يشعر بأن المجتمع الإسلامي يدعمه، لا سيما عند عجزه.

- ولنتذكر دائمًا أن عدم إيتاء الزكاة يُعتبر من أكبر الكبائر، بالضبط مثل عدم إقامة الصلاة، فالآيات القرآنية تربط بينهما بتركيز معلوم، وهل تصلح الصلاة- وحدها- للجائع؟

لذلك، وفي جميع الأحوال، لابد للمسلم الغني من إعطاء أولوية قصوىٰ لتفعيل فلسفة ومنظومة الزكاة خصوصًا إذا قصرت الدولة أو فرطت في ذلك؛ **لأن الإسلام هو:**

« دين الضمان الاجتماعي من حيث التزام الدولة بتحقيق حد

---

(1) سورة سبأ: 39.

الكفاية لجميع المواطنين، كما أنه- في الوقت نفسه- دين التكافل الاجتماعي من حيث التزام الأغنياء بتحقيق حد الكفاية للجميع».

والواقع أن معيار الحكم علي أي دولة في العالم، ليس فقط بمقدار ما بلغته من تقدم تكنولوجي أو تمتلكه من ثروات مادية أو بشرية، ولا حتىٰ بما يخص كل فرد من أفرادها من الدخل العام للدولة، فقد لا يكفي ذلك أحيانًا لتحقيق حد الكفاية، وبالتالي لا تمثل كل هذه المعايير في الفكر الإسلامي إلا وسائل لابد أن تُستخدم لتحقيق هدف حضاري أَسمىٰ.

فالمعيار هو الحد الأدنىٰ المعيشي اللائق الذي يستوعب تطورات العصر، ويشجع الإنسان علي القيام برسالته الحضارية الإسلامية الجامعة، وهو المعيار الذي لابد من أن تضمنه الدولة الإسلامية لأضعف مواطنيها؛ كي يتحرر الجميع باسم الإسلام من عبودية الحاجة، تكريمًا للإنسانية.. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[1] .

أخيرًا: في مناخ الحرية لا يقوم أحد بالتنمية والنهضة سوىٰ المجتمع نفسه، وبالتالىٰ لابد من أن تستند قيم ومبادئ ومرجعية

---

(1) سورة الإسراء: 70 .

مشروع التنمية والنهضة إلىٰ ثقافة المجتمع ذاته وهويته، لا سيما أن الزكاة هي المرتكز التأسيسىٰ لبناء المجتمع المدنىٰ الحضارىٰ الإسلامي، المرجو والمأمول.

والأمر هكذ ، حقٌّ علينا أن تكون الزكاة- إذن-:

«تقوي، ثم تزكية، ثم تطهير، ثم بر وإحسان، ثم عدالة اجتماعية».

والحمد لله.

❀ ❀ ❀

الصيـــام

ثقافة المقاومة

لإدارة الحياة طوال العام

الركن الرابع: الصيام
ثقافة المقاومة لإدارة الحياة طوال العام

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (1) .

تؤكد أحوال المسلمين الراهنة أهمية أن نعي الرؤية الاستراتيجية الإسلامية لإدارة مجالات الحياة الإنسانية كافةً من خلال التكامل الروحي والمادي بين أركان الإسلام الخمسة في إطار منهج يستهدف تحقيق «النهضة» علىٰ الأرض.

وبالنسة لركن الصيام، يُعد شهر رمضان مركز تدريب روحي ومادي للمسلمين علىٰ ثقافة الصيام، والمقاومة.. فهل هناك أمة غير المسلمين تتخذ من فترة مركز التدريب فقط هدفًا في حد ذاته؟ أم أن الأمر البديهي هو أن يكون الهدف هو أيضًا وأساسًا فترة ما بعد مركز التدريب طوال العام ؟.

إن تدريب أفراد القوات المسلحة يستهدف الانتصار في الحروب، باعتباره أكبر مشروع قومي لدولة أو أمة، فهل هي مصادفة أن تحدث أكبر الانتصارات الإسلامية في رمضان مثل:

---

(1) سورة البقرة: 183 .

بـدر، والـخنـدق، وفـتح مكـة، والأنـدلس، والقادسـية، والـيرمـوك، وعين جالوت، وحطين، وغيرها من انتصارات المسلمين، فضلًا عـن حـرب العاشـر مـن رمـضان1393 هـ، المعروفـة بحـرب 6 أكتوبر 1973م، ضد الصهاينة ؟

يؤكد القرآن الكريم المعنىٰ الـذي ذهبنا إليه، بقوله تعالىٰ في الآيــة الأولــىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [1]، حيث لا تقول الآية، يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم رمضان كما كتب علىٰ الـذين مـن قبلكم لعلكم تصومون، فالعبرة ليست بشهر رمضان حتىٰ يكـون الهدف «**الثمرة**» من هذا الشهر هو فقط الصيام في حد ذاته «**مجـرد الامتناع عن الطعام والشراب**» كما يفعل كثير من المسلمين في زماننا هذا بل العبرة بفهم وتطبيق الصيام حتىٰ يكون الهدف «الثمرة» من الصيام هو التقوىٰ بمعناها الشامل العميق «**الهدف والوسيلة**» الذي نفهمه عندما نأتي أيضًا إلىٰ قوله تعالىٰ في الآية الثانيـــة: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [2].

(1) سورة البقرة: 183 .

(2) سورة البقرة: 197 .

أي أن الحكمة والثمرة من الصيام هي التقوىٰ التي تمثل في الآية الأولىٰ الهدف، لكنها تمثل في الآية الثانية الزاد أي الوسيلة، بمعنىٰ أن الصيام «**وكذلك التقوىٰ**» لا بد أن يكون هدفًا ووسيلةً في الوقت نفسه، فنجد أن التقوىٰ ترتبت علىٰ الصيام كهدف أول ثم تصبح التقوىٰ في الوقت ذاته وسيلة للهدف الثاني وهو: امتلاك المسلم للإرادة وثقافة المقاومة، والمقاطعة السلمية اللازمة للتعايش الإيجابي مع الحياة الحديثة بمغرياتها المتعارضة أحيانًا مع الإسلام، ودون الوقوع في هذه المغريات.

لا تشير الآية الأولىٰ إلىٰ « أولي الألباب» نظرًا لسهولة فهم أن أركان الإسلام الخمسة تمثل أهدافًا إيمانية أخروية في حد ذاتها، لكن الآية الثانية تؤكد أن التوجيه هو لـ «أولي الألباب»، من أجل إدراك الاستراتيجية الإسلامية التي تتخذ من أركان الإسلام، ليس فقط أهدافًا إيمانية روحية أخروية كأداء العبادة لإسقاط فريضة الصيام في رمضان، بل أيضًا وسائل عملية مادية دنيوية تقوم بتفعيل كل مجالات الحياة وفقًا للرؤية الإسلامية.

وبداية من المعنىٰ اللغوي للصيام نرىٰ أن معناه- خارج الاصطلاح الشرعي الإسلامي- هو المنع والإمساك، وهو ما يؤكد الفكرة القائلة بأنه وسيلة للوصول إلىٰ هدف.

يؤيد ذلك أن مريم- عليها السلام - قالت- التزامًا بأمر ربها-: ﴿إِنِّي

نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، فامتنعت ليس عن تناول الطعام والشراب بل عن الكلام، وعبرت بالصوم عن الإمساك عن الكلام، فالصوم إذن هو الإمساك.

في الوقت نفسه، تُعد التقوىٰ هدفًا ووسيلةً، فبعد «**لعلكم تتقون**»، جاء « **فإن خير الزاد التقوىٰ** »، ليوضح القرآن أن التقوىٰ تمثل محور الارتكاز الذي يجعل المسلمين والمؤمنين يتسابقون نحو الوصول إليه، بل ويخص من المؤمنين والمسلمين «**أولي الألباب**»، باعتباره أمرًا عامًا للجميع، وأمرًا خاصًا لذوي العقول ذات الفكر العميق.

من الملاحظ أيضًا استخدام لفظ «**الزاد**»، الذي يشير إلىٰ الطعام والشراب، مما لا غنىٰ عنه لأي إنسان، هذا من ناحية الهدف والوسيلة، ومن ناحية تطبيق هذا الركن في حياتنا اليومية، لننظر إلىٰ مدىٰ نجاح الدولة «**المحمدية**» في إثراء حياة المسلمين بسبب تطبيقهم لثقافة الصيام المتفردة.

الصوم والصيام:

الحديث النبوىٰ الذىٰ يتصدر هذا الكتاب (**بنىٰ الاسلام علىٰ خمس**) يؤكد علىٰ «**الصوم**» وليس «**الصيام**» فىٰ حين أن الآية

(1) سورة مريم: 26

الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[1] ، تؤكـد علىٰ الصيام وليس الصوم، والمقارنة بالغة الأهمية.

-المقارنة:

.. فالصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب ومباشرة الزوجة كما هو معلوم، وهو مفروض فىٰ شهر رمضان فقط.

.. أما الصوم فهو الإمساك عموما عن كل المحرمات، مع الالتزام بقول الحق، وتجنب قول الزور، وذلك طوال العام وليس فقط فىٰ رمضان.

.. إذن الآية الكريمة تتولىٰ فرض الفريضة بحتمية إسقاطها (**الهدف**) وهذا الإسقاط وفقا لعلماء الأمة يتحقق بأداء الفريضة (**كهدف أخروىٰ**) فقط وليس بالضرورة إقامة الفريضة (**الوسيلة والهدف**) لتحقيق الثمرة الفعلية الحضارية الدنيوية المرجوة من هذه الفريضة أو هذا الركن، لكن الحديث الشريف والسنة النبوية تفصل وتتولىٰ التأكيد علىٰ التفعيل وتحقيق الثمرة الدنيوية وذلك لبناء الإسلام، ولا يكون هذا البناء إلا بالتفعيل العملىٰ بالنجاح علىٰ أرض الواقع دنيويا، بمعنىٰ تطبيق أركان وقيم ومبادئ الإسلام لتحقيق التقدم والنهضة فىٰ شتىٰ مجالات الحياة، حيث

(1) سورة البقرة: 183 .

لا يعقـل أن يكـون بنـاء الإسـلام فى الـدنيا كـشعائر ومناسـك فقـط وتكـون الأمـة الإسـلامية الأفقـر والأضـعف والأجهـل بـين سـائر الأمم.

.. فالمقصود والمطلوب هو إقامة الصلاة وليس فقط أداؤها كما أوضحنا فى ركن الصلاة، وكذلك تطبيق «**الصوم**» وليس فقط «**الصيام**»، بمعنى ضرورة وحتمية تحقيق الثمرة الدنيوية من أركان الإسلام (**الوسيلة والهدف**) وليس فقط إسقاط الفريضة(**الهدف**) فقط.

..ولذلك المولى سبحانه عندما يعظم ركن الصيام بالحديث القدسى «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به**» فالقصود هنا «**الصوم**» وليس فقط «**الصيام**»، وكذلك التطبيق الفعلى بالحديث الشريف «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**» مما يمثل حتمية الربط والجمع الفعلى بين «**الصوم**» و«**الصيام**»، وكذلك بين الوسيلة والهدف وصولا لحتمية الربط والجمع بين الدنيا والآخرة وفقا لنظرية الثنائية الإسلامية التى نؤكد عليها.

.. أى أن الصيام لا يؤدى للثمرة المرجوة منه لبناء الإسلام دنيويا إلا بالوصول بهذا الصيام إلى درجة الصوم بمعنى «**صوما وصياما**» وبالمثل كما يؤكد القرآن الكريم على «**إقامة**» الصلاة

وليس فقط «**أداء**» الصلاة، فليس المقصود كتب عليكم شهر رمضان لتكون الثمرة الصيام بل كتب عليكم الصيام لتكون الثمرة التقوىٰ بالمغزىٰ التطبيقي «**صوما وصياما**»، التقوىٰ الشاملة، الوسيلة والهدف، لتحقيق النجاح بالدنيا والفوز بالآخرة.

إن الصيام معسكر درب الصحابة- رضي الله عنهم - فيه نفوسهم وإرادتهم قبل أجسادهم، علىٰ تنفيذ أوامر الله تعالىٰ، حتىٰ لو كان الأمر مخالفًا لما اعتادوه طوال حياتهم، فتلك الخمور قد اعتادوها كأنها شربة ماء، لكن بمجرد نزول الأمر الإلهي الكريم بتحريمها فقد غرقت طرقات المدينة في نهر من الخمور المُسالة والمُهرقة.

وعندما نزل الأمر الإلهي في إحدىٰ الغزوات بتحريم لحوم الحُمُر الأهلية «**خيول وحمير**» مع جوعهم الشديد، لم يكن صعبًا علىٰ الصحابة الالتزام بهذا التحريم؛ لأنهم دربوا أنفسهم شهرًا كاملًا- من كل عام- علىٰ ترك الحلال المحض، فما بالنا بترك الحرام؟

ركن الصيام- إذن- يتولىٰ تدريب الفرد والأمة علىٰ الإرادة الداخلية، لدعم ثقافة المقاومة والمقاطعة السلمية، لكل ما هو ضد الإسلام، في جميع المجالات.

والآن: لننظر إلىٰ واقعنا، وكيف يمكن استخدام هذه الوسيلة

«**السحرية**»، التي إذا أُحسن تطبيقها، ستكون طوق نجاة لنا من كثير من المشكلات الحياتية التي نواجهها، لننظر إلىٰ الصيام باعتباره مركزًا تدريبيًا لأفراد الأمة علىٰ ثقافة المقاومة الإسلامية التي نحتاج إليها طوال العام في كل المجالات وعلىٰ سبيل **الأمثلة الآتية:**

أولًا: المجال الاقتصادىٰ:

كالمقاطعة الاقتصادية، وهي لازمة لتحقيق قوة المجتمع المسلم وكرامته، بعدم شراء منتجات الدول التي تستهدف الإسلام والمسلمين بالظلم والعدوان.

فمن الأمور التي يدربنا عليها الصيام مواجهة السلع التي ترد إلينا من أعدائنا، ويكثر استيرادها في رمضان، فأنت تستطيع أن تدرب نفسك علىٰ مقاطعة تلك السلع، وإن كنت لا تفعل ذلك في غير رمضان، لكنك حينها تدرك مدىٰ تأثير الصيام عليك كمسلم نجح في أن يتخذ من شهر الصيام معسكرًا يخرج منه قويًا، لا تحركه فيه شهواته، ولا رغباته، التي تجعل من غيره عبدًا لها، بل تجعله يتحالف مع الشيطان، كي يحصل عليها، ويشبع نزوته منها، ونهمه إليها.

فماذا لو طبقت الأمة بأكملها هذه المقاطعة الإيجابية لمنتجات أعدائها؟

حينها ستصبح أمتنا أمة لا تُقهر، ولن يتحكم فيها ظالم، ولن يذلها طامع، أو مُغرض، أو منافق.

لقد أفتت دار الإفتاء المصرية [1] من قبل، بوجوب مقاطعة هذه المنتجات شرعًا، فمن غير المعقول أن يشتري المسلمون منتجات الصهاينة، ومن يدعمهم، في الوقت الذي يستمر فيه انتهاكهم الصارخ لمقدسات المسلمين والمسيحيين بالقدس وفلسطين.

ومن أسفٍ أن الكثير منا يستغرق في الاستهلاك خلال شهر الصيام، وحتىٰ طوال العام، فأين تطبيق مفهوم الأولويات الذي يُعتبر من أهم أساسيات الفكر الإسلامي؟

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ [2]. فكيف يمكن الإنفاق دون إسراف أو تقتير في ظل الثقافة الاستهلاكية العلمانية الواردة إلينا من الغرب، والسائدة حاليًا في مجتمعات المسلمين، ونراها مُجسدة في غزو الإعلانات التجارية الذي يضغط بقوة علىٰ المواطن، لدرجة

(1) انظر: فتاوىٰ دار الإفتاء المصرية (7/ 2634 رقم 1114)، فتوىٰ « الصلح مع اليهود والمعاهدات مع الدول المعادية » لفضيلة / الشيخ حسن مأمون بتاريخ جمادىٰ الأولىٰ 1375هـ - 8/ 1/ 1956م .

(2) سورة الفرقان : 67 .

إنفاق الحد الأقصىٰ من ماله، من خلال تقسيط ثمن المنتجات عليه، وصولًا إلىٰ أعلىٰ درجة من الترف، والكسل، وحب الظهور، والتعالي علىٰ الناس، وكلها مستهدفات تضاد الإسلام الذي يوجه إلىٰ ثقافة الضرورات ثم الحاجيات ثم التحسينيات.

*** وقفة مع ثقافة الشراء:**

كان عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يوجه أحد أصحابه بقوله: « **كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا اشْتَرَيْتَهُ؟** »(1)، وذلك في رسالة بليغة لكيفية استخدام المال بعيدًا عن الرفاهية، والسفه، فكيف نستطيع ذلك الآن، بدون المقاومة وضبط النفس، في ظل ثقافة استهلاكية عالمية كاسحة مدعومة بوسائل إعلام ماجن.

ثانيًا: المجال الشخصي:

*** الطعام والشراب:**

- الصيام يؤثر علىٰ البرنامج اليومي للإنسان في المطعم والمشرب، فيكون له آثار صحية مفيدة عليه، إذ يساعده علىٰ الإقلاع عن كل ما فيه ضرر أخلاقي وصحي ونفسي عليه، وانظر إلىٰ أثره في الإقلاع - مثلًا - عن التدخين والمسكرات، وغيرهما،

(1) أثر منكر: أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (5/ 140 رقم 24524)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في « ضعيف الترغيب والترهيب » (2/ 178 رقم 1919).

وأثره أيضًا في القضاء علىٰ السمنة والكرش، مثلًا.

- من جراء عدم انشغال الذهن بوجبات الإفطار والغداء والعشاء، وذلك في ضوء تعويد المسلم عدم الاهتمام الزائد بالطعام كشهوة من الشهوات، يجدد الصيام القدرة علىٰ العمل والابتكار، ويساعد علىٰ صفاء الذهن.

وانظر للتوجيهات النبوية لكيفية التعامل مع المعدة « **بيت الداء**»، حيث الثلث للطعام، والثلث للشراب، والثلث فراغ للتنفس، فكيف يمكن تحقيق ذلك بدون ثقافة الصيام، ومقاومة الشهوات!، خصوصًا في وجود ما لذ وطاب من الطعام والشراب من خلال الإعلانات، ووسائل الإعلام، التي تدفع الناس للاستهلاك العلماني الشره.

أين ذلك من الهدي النبوي الكريم الذي يقول: « **مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ** »[1].

إن الصيام يمنحك القدرة- علىٰ المستوىٰ الشخصي أيضًا- علىٰ تخفيض مصروفاتك، ذلك أن النعمة لا تدوم، والأمر هكذا

(1) صحيح: أخرجه الترمذي (4/ 188)، من حديث مقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وقال: « هَـذَا حَـدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ » ، وصححه الألباني في « إرواء الغليل » (7/ 41 رقم 1983).

لا ينبغـي أن تـسمح للتجـار الجـشعين بـأن يتحكمـوا في المـواد الأساسية التي يتضاعف سعرها من غير مناسبة في رمضان، مع أنه مـن المفـترض أن تـنخفض أسـعارها؛ لأن الأمـة تخفـف مـن مصروفاتها ومن معدل الشراء في هـذا الـشهر الكـريم، باعتبـار أنهـا في معسكر تدريبي .

فهل رأيت جيشًا أو حتىٰ فريق كرة تزداد احتياجاته من الطعام والشراب بينما هو يتدرب استعدادًا لمواجهـة غريمـه أو منافسه؟ ألا يستهلك فقط ما يكفي تقويته علىٰ ما هـو عليـه مـن الحـرب أو اللعب؟

*** حفظ اللسان.. مقاومة الغيبة والبهتان والكذب:**

الغيبة: هي «**ذكرك أخاك بما يكره**» وبمـا فيـه فعـلًا مـن عيـوب وخلافه، أما البهتان: «**أن تذكره بمـا يكـره وبمـا لـيس فيـه أصـلاً**» وهـذا هـو تفـسير الغيبـة والبهتـان كمـا فـسرها الرسـول ﷺ عنـدما سئل عن الغيبـة، فعَـنْ أَبِـي هُـرَيْـرَةَ رضي الله عنه، أَنَّـهُ قِيـلَ يَـا رَسُـولَ اللهِ مَـا الْغِيبَةُ؟ قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَـاكَ بِمَـا يَكْـرَهُ**» قِيـلَ: أَفَرَأَيْـتَ إِنْ كَـانَ فِـي أَخِي مَا أَقُولُ؟ «**قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُـولُ فَقَـدْ اغْتَبْتَـهُ، وَإِنْ لَـمْ يَكُـنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**» .(1)

---

(1) صـحيح: أخرجـه أبـو داود (4/ 269 رقـم 4874)، وصـححه الألبـاني في «صحيح الترغيب والترهيب» (4/ 52 رقم 2844) .

أما الكذب فهو معلوم للكافة وهو أفة البشرية خصوصًا في العصر الحديث يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [1] والمقصود هنا هو الغيبة والبهتان فكيف يمكن تطبيق ذلك عمليًا لاجتناب هذه الصفات الذميمة بدون إرادة يتدرب عليها المسلم من خلال ثقافة المقاومة.

وبشكل عام نجد قوله ﷺ: « **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** »[2].

فدخول الجنة لابد له من تحمل مكاره وصعوبات كثيرة مثل مجاهدة النفس للاستيقاظ لصلاة الفجر، خصوصًا أثناء برد الشتاء وهكذا، وكذلك تجنب دخول النار لابد له من البعد عن مغريات وشهوات كثيرة لا حصر لها، ولا يمكن تحمل المكاره بهدف دخول الجنة، ولا يمكن تجنب المغريات والشهوات بهدف البعد عن النار، لا يمكن كل ذلك إلا بامتلاك المسلم لإرادة قوية وثقافة المقاومة التي نكتسبها من خلال ركن الصيام.

---

(1) سورة الحجرات: 12 .

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري (8/ 102 رقم 6487)، ومسلم (4/ 2174 رقم 2822) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

❋ أهمية الوقت والالتزام بالمواعيد:

نحتاج للسيطرة الشديدة على الوقت، ويكفينا في بيان أهمية الوقت إسلاميًا ما رواه الترمذيُّ في « **جامِعِه** » أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: « **لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ** »[1]، حيث السؤال عن العمر يؤكد أهمية الوقت، ويشمل بالتأكيد فترة الشباب.

❋ دعم ثقافة المشاركة السياسية:

بالروح الجماعية التي تسود بين المسلمين لدىٰ صيام هذا الشهر الفضيل تتدعم ثقافة المشاركة فيما بينهم، ويطرح السؤال نفسه، غير بعيد عن أداء فريضة الله: كيف يمكن المشاركة السياسية في بناء الوطن، وهو أمر واجب شرعًا، وبناء نهضة المسلمين، دون الانبهار بمغريات المجال السياسي والإعلامي والتمويل الأجنبي الذي يستهدف ضمائر المواطنين، بما يخالف التوجهات الإسلامية؟

بل كيف يمكن الاستفادة من إيجابيات الحضارة الغربية

(1) صحيح : أخرجه الترمذي (4/ 217) من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2/ 629 رقم 946).

العلمانية الحالية- وهي كثيرة- دون التورط في سلبياتها، وهي كثيرة أيضًا؟

ثالثًا: المجال الاجتماعي:

*** ضبط الموقف من الاختلاط:**

قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [1].

تؤكد الآيتان الكريمتان وجود الاختلاط وعدم تحريمه، وضرورة ذهاب الشباب من الجنسين للجامعة، وغيرها من الأنشطة، لكن السؤال: كيف يحدث ذلك دون الخروج علىٰ الضوابط الشرعية؟

إن ثقافة المقاومة هي التي تدعم القدرة علىٰ عدم الخروج علىٰ هذه الضوابط الشرعية- التي أشارت إليها الآيتان- المتمثلة في هذا الالتزام بغض البصر، والحشمة، وعدم الخضوع بالقول، وكذا عدم الانخراط في كل ما يؤدي إلىٰ الخروج عن هذه الضوابط الشرعية المُعتبرة.

- وبمراجعة أحوال الناس، نجد أن الغني يعطف علىٰ الفقير،

---

(1) سورة النور: 30-31 .

والفقير يجد من يسد عوزه، وتبدأ المعاني الخيرية بين المسلمين في تقديم كل جود وكرم للآخرين، مع التطوع بالصدقات والاحتياجات، وغيرها في هذا الشهر المبارك.

- رمضان يجعلك أكثر قربًا من ذويك وأصدقائك؛ نظرًا لصفاء نفسك، كما أنك مأمور بأن ترد الجهالة بالحسنىٰ، إذ جاء في الحديث النبوي « **فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**».[1]، فالصيام تربية علىٰ الأخلاق، وتربية للسان، وتربية للجوارح، وتربية للاعتقاد، وتربية للإرادة، والعزيمة.

- الصيام يقوي العلاقات الاجتماعية من خلال الزيارات والعزومات التي لا ترهق الأسرة.

- الشعور بالعزوة بل بالوحدة التي تتحقق باجتماع الأمة علىٰ صيام شهر واحد، في وقت واحد، يمتد من الفجر إلىٰ المغرب.

وانظر إلىٰ الآية رقم مائة وأربعين من سورة النساء، إذ قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[2].

---

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (3/ 26 رقم 1904)، ومسلم (2/ 807 رقم 1151)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) سورة النساء: 140.

إن الجلوس مع الكافرين والمستهزئين، ومطاوعتهم علىٰ استهزائهم دليل ضعف ونفاق، فالحمية لدين الله وآياته العظيمة لا تتأتىٰ إلا بثقافة المقاومة التي يكتسبها المؤمن من الصيام حتىٰ يستطيع أن يترك ويقاطع هذه المجالس مهما كان لها من فوائد مادية أو ترفيهية.

وهكذا يجعل معسكر الصيام من الأمة المسلمة أمة يحترمها كل من سواها بل ويخشاها كل مستهزئ أو منافق.

* الغرور والتعالي علىٰ الناس:

يقول المولىٰ سبحانه :﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1]، دائمًا التقوىٰ «**الهدف والوسيلة**» تمثل محور الارتكاز كما أسلفنا، فلقد تم بالآية الكريمة النهي التام عن التعالي علىٰ الناس، وتم وضع التعالي في نفس إطار الفساد وهو أمر طبيعي؛ لإن التعالي علىٰ الناس يفسد ما بينهم مما يؤدىٰ لهدم كل مقدرات وامكانات المجتمع فضلًا عن أنه لا يكون إلا باستخدام النعم الإلهية مثل: المال، والذكاء، والسلطة، والنفوذ، والجاه، والحسب، والنسب، وخلافه، وهي كلها مغريات هائلة للتعالي علىٰ الناس، الأمر

(1) سورة القصص: 83 .

الذي يستحيل تجنبه تمامًا كما تأمر الآية إلا بالإرادة الداخلية التي يتدرب عليها المسلم المؤمن خلال شهر رمضان وصولًا لتحقيق وتفعيل ثقافة المقاومة، فالمطلوب هو الإيجابية والتدافع الحضاري بين الناس لتحقيق التنمية والنهضة، وفي نفس الوقت مقاومة الشهوة الشيطانية، والرغبة في التعالي علىٰ الناس بالضبط مثل الاختلاط بين الجنسين فهو مطلوب، ولكن بشرط أن يكون في إطار الضوابط الشرعيه كما أسلفنا.

رابعًا: المجال الثقافي والإعلامي:

يُعتبر التلفزيون والإنترنت والفضائيات.. وسائل مباحة، بل الأصل أن الواجب شرعًا مبادرة المسلمين إلىٰ اختراعها، ومن ثم لابد من التفاعل الإيجابي معها، وذلك لمواكبة تطورات العصر، لكن مع اعتبار أن الضوابط المذكورة هي لاقتباس المفيد، واجتناب المضر، حمايةً للشباب والمجتمع من الغزو الثقافي الغربي العلماني، الذي وصل- في كثير من الحالات- إلىٰ اختراق الأسرة المسلمة من الداخل .

*** المقاومة الرمضانية للمسلسلات الشهوانية:**

مذهل ذلك الكم الهائل من المسلسلات التليفازية التي تُبث بمنطقتنا العربية في أيام شهر رمضان حيث التركيز علىٰ شهوات الإنسان والجانب الماديٰ منه دون الجانب الروحي!

الطبيعي أنه لا يمكن الاستثمار في إنتاج هذه المسلسلات إلا نتيجة زيادة إقبال الجمهور علىٰ مشاهدتها، وهو الأمر الذي يتنافىٰ مع حرمة الشهر الفضيل خصوصًا، وحرمة الإسلام عمومًا.

أما الصيام فيمنحك القدرة علىٰ النظر بشكل مختلف لما يُعرض عليك من أفلام ومسلسلات، فأنت تنظر إليها بعينٍ فاحصة ناقدة تقبل الثمين، وترفض الغث؛ لأن الإرادة التي يربيك عليها الصيام تجعلك لا تلهث وراء تلك المواد الإباحية- في الغالب- التي تُعرض عليك، والتي من شأنها إفساد صيامك، وما يربيك عليه من معان سامية، إنها ثقافة مجتمع، وليست قضية دولة أو حكومة فقط، فما الحكاية إذن؟!

إن المولىٰ سبحانه وتعالىٰ خلق الملائكة روحًا بدون شهوة، وخلق البهائم شهوة بدون عقل، وخلق الإنسان مزيجًا من الثلاثة: روح، وعقل، وشهوة؛ لذا تستحيل استقامة البشرية إلا بالوسطية والتوازن بين المكونات الثلاثة المشار إليها.

فجسم الإنسان هو الحصان، والله يمنحك إياه لتَرْكَبه لا لِيرْكَبَكْ، ولتخضعه لأهدافك الإسلامية لا ليخضعك لشهواتك المادية؛ لذلك يدرب المنهج الإسلامي المسلم علىٰ قيادة ذلك الحصان الهائج.

والمسلم بدون ثقافة المقاومة، ليس فقط في أثناء رمضان بل

طوال العام، يهبط لما هو دون الكائنات الأخرىٰ المحرومة من نعمة العقل، كما أنه بدون الوعي بالمنهج الإسلامي يصل إلىٰ درجة البهائم، حتىٰ في فهم وصفة الطبيعة الفطرية!

بل إن البهائم لا تتناول من الطعام والشراب ما يزيد عن حد الشبع في حين أن معظم أمراض الإنسان ناتجةً من زيادة الطعام والشراب عن الحدود التي أقرتها السنة النبوية، وقد جاء في الحكمة العربية القول المأثور: «**الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ**» (1)، وذلك للتحذير من الإسراف في الطعام والشراب.

والواقع أننا نقع في خطأ وظلم كبيرين عندما نصف شخصًا مسرفًا علىٰ نفسه بأنه ذو شهوة بهيمية، ذلك أن «ذَكَر» البهائم لا يقترب من الأنثىٰ إلا للتخصيب، ولا يعاود الاقتراب منها إلىٰ أن تتم الولادة وتطلب التخصيب مرة أخرىٰ!

*** وختامًا:**

يجب أن نعترف بأن البعض أضاع ثقافة الصيام ليس فقط كوسيلة عملية تستهدف تفعيل نهج المقاومة اللازم للفرد والأمة في سبيل تحقيق التقدم والنهضة، بل أضاعها أيضًا كهدف إيماني روحي في أثناء فترة مركز التدريب أي أثناء شهر رمضان، بدليل

(1) هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب . انظر : المقاصد الحسنة (ص: 611 رقم 1035)

الارتفاع النسبي في أسعار السلع الغذائية بسبب زيادة الطلب عليها بالإسراف في رمضان، وهو عكس المطلوب! وكذلك الارتفاع النسبي لسعر دقيقة الإعلانات بالقنوات الفضائية نتيجة زيادة الإقبال علىٰ مشاهدتها في رمضان، وهو أيضًا عكس المطلوب !

إنها مسئولية العلماء والمفكرين من أجل استثمار وتوجيه الصحوة والمد الإسلامي تجاه الإسلام كعقيدة وشريعة، وكمنهج ونظام حياة متكامل لكل المجالات في كل زمان ومكان.

وهي مسئولية الجميع نحو القيام اللازم بالواجب الشرعي، الفردي الخاص، والمجتمعي العام، لتفعيل هذا المنهج؛ وصولًا لتحقيق النهضة الشاملة.

إن الفرد والأمة اللذان يستطيعان تتحقيق وتفعيل الثمرة من الصيام بمعناه الشامل كهدف ووسيلة هما فرد وأمة، قادران علىٰ تخطي أزماتها الاجتماعية والاقتصادية بل يستطيعان سداد ديونها، وجسر تخلفها، ومقاومة عدوها الداخلي والخارجي، والتحكم في وارداتها وصادراتها؛ مما سيجعلها الأقوىٰ، والأقدر بل، والأصلح لنفسها ولسائر الأمم.

ذلك هو أحد نواميس الكون، بدليل أننا إذا ابتعدنا عن المسلمين، ونظرنا- مثلًا- إلىٰ الهنود الذين نفذوا ثقافة المقاومة

«**كـضرورة دنيويـة دون أن تكـون فريـضة دينيـة**» أيـام المـستعمر الإنجليـزي، وذلـك عـن طريـق عـدم شـراء سـلعة أساسـية وهـي الملـح، ممـا أدىٰ- بـشكل مباشـر- إلـىٰ خـروج المـستعمر مـن بلادهم مما يعني أن ثقافة المقاومة والمقاطعة تمثل سلاحًا عمليًا وطنيًـا فـاعلًا بكـل المقـاييس، وغالبًـا مـا يكـون أكثـر فاعليـة مـن الأسـلحة العـسكرية المعروفـة فمـا بالنـا إذا كانـت ثقافـة الـصيام والمقاومة تمثل للمسلمين فريضة شـرعية وضـرورة دنيويـة وهـي حقيقـة نحـن في أشـد الحاجـة لهـا الآن في هـذه المرحلـة الفارقـة للأمة.

إن المسلمين يؤدون الـصيام تعبـدًا لله، ممـا يجعلهـم الأقـوىٰ، بـل والأصـلح علـىٰ مـستوىٰ البـشرية، وبالتـالي تحلـو بالـصيام الحياة، وبه تعمر الأرض، وبه ينال المسلمون الأجر في الآخرة.

والأمر هكذا، أدعـو الله تعـالىٰ أن يلتـزم المـسلمون بالمقاومـة الرمضانية، التي يمنحها إيـاهم الـشهر الفـضيل، مـن أجـل مقاومـة كل ما يتعارض مع الإسلام في كل مجالات الحياه طوال العام.

❀ ❀ ❀

الحـــج

التوحد في الشعائر والشرائع
المنافع في الدنيا والآخرة

الركن الخامس: الحج
التوحد في الشعائر والشرائع.. المنافع في الدنيا والآخرة

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾[1] .

ركن الحج كركن الصيام، مركز تدريب مكثف، روحىٰ ومادي للأمة، وهو هدف ووسيلة في الوقت ذاته. قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾[2] .

فالتقوىٰ تمثل الهدف من الصيام، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[3]، أما في الآية السابقة عن الحج فتمثل التقوىٰ الزاد أي الوسيلة، قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ

(1) سورة البقرة :197 .
(2) سورة البقرة :197 .
(3) سورة البقرة: 183 .

ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1].

وحيث إنه لا هدف بدون وسيلة، ولا وسيلة بدون هدف، فالربط واضح بين الأركان، أي أن الحج مثل الصيام الذي أشرنا إليه في الفصل السابق، لابد من أن يكون هدفًا ووسيلة في الوقت نفسه.

ولا تشير آية الصيام إلىٰ «**أولىٰ الألباب**» نظرًا لسهولة فهم أن أركان الإسلام تمثل أهدافًا إيمانية روحية لأداء العبادة، وإسقاط الفريضة، لكن آية الحج تشير إليهم، نظرًا لإدراك استراتيجية المنهج الإسلامي، باتخاذ الأركان- أيضًا- وسيلة عملية مادية لتفعيل الحياة لضرورة وحتمية ربط العقيدة بالشريعة التي توجب إعمار الأرض لتحقيق النهضة.

وفي هذا الإطار يتضح لنا من ركن الحج عدد من الإشارات الإيمانية الروحية والعملية المادية، **كما يلي**:

*** المساواة:**

لقد بادر واخترع الإسلام تشريع المساواة، وهو أمر يتضح في كل خطوة من خطوات الحج، من خلال توحيد ملبس الحجاج جميعًا، وتوحيد شعائر الحج للجميع دون استثناء.

---

(1) سورة البقرة: 197 .

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1].

وتشير الآية إلىٰ أن تقويم البشر عند الله هو بالتقوىٰ.

*** المنافع:**

قال تعالىٰ: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾[2]، فانظر إلىٰ المنافع التي جعلها الله للناس في الحج، وانظر إلىٰ الإعجاز اللغوي في هذه الآية.

فقد جاءت كلمة «**منافع**» نكرة للعموم والشمول، منافع دنيوية اقتصادية كالتجارة والسياحة والنقل والطعام والشراب، وسياسية، إذ كان يتم الفصل في الخصومات خلال الموسم، ومنافع عسكرية من حيث إضفاء المهابة علىٰ المسلمين، والتدريب البدني الذي يقوم به الحجاج من طواف ورمي جمرات وسعي، ومنافع اجتماعية، إذ يقف الجميع سواء أمام الله تعالىٰ، فالكل يتحرك باتجاه واحد في وقت واحد، ومنافع ثقافية، بالتعارف وتبادل الآراء والرؤىٰ من خلال أكبر مؤتمر شعبي متكرر بنظام لم ولن تصل إلي مثيله البشرية.

---

(1) سورة الحجرات: 13 .

(2) سورة الحج: 28 .

أما المنافع الأُخروية الدينية فحدث عنها ولاحرج، ولعل أقلها « **ضبط النفس عن المعصية**»، فلا يستطيع الحاج عمل أشياء من الحلال حتىٰ في مرحلة ما قبل الحج، وإن خالف ذلك فعليه ذبح أو صيام.

أما أعظم ما جاء به الحج من فوائد أخروية فهو غفران جميع الذنوب، ودخول الجنة، إذ الحج المبرور أيسر جسر يعبر بصاحبه إلىٰ جنات النعيم، فـ «**الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»[1]، كما جاء في الحديث النبوي الكريم.

هذه المنافع- جميعًا - التي أشارت إليها الآية: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[2].

فالآية تذكر معنىٰ العطف علىٰ الفقراء، وتشمل الجانبين: الدنيوي بتحقيق المنافع المادية، والأُخروي بذكر الله سبحانه.

وقد تجسدت العقلانية الإسلامية في تقديم الدنيوي علىٰ الأخروي هنا؛ لأن الحج يحتاج إلىٰ الترتيبات التي يلزم إنجازها

(1) متفق عليه : أخرجه البخاري (3/ 2 رقم 1773)، ومسلم (2/ 983 رقم 1349) ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(2) سورة الحج: 28 .

مسبقًا مثل القيام بأنشطة النقل والطعام والشراب والإقامة.

ولا حـرج في المنفعـة الماديـة مـن وراء الحـج بـشرط أن لا تتحول الوسيلة إلىٰ هدف محض، وأن لا يطغىٰ الدنيوي علىٰ الأخروي، « **أي ما يسمىٰ بالعلمنة** ».

فمثلًا: المغالاة في أسعار تأشيرات الحج، وما يُسمىٰ بـ «**الحج السريع في ثلاثة أيام**»، بهدف تحقيق أعلىٰ ربح مادي للشركات، وأعلىٰ رفاهية واختصار وقت للحاج مع استخدام أقصىٰ الرخص الفقهية، برغم أن المقصود بها الحالات الاستثنائية فقط، لا أن يتحول الحاج - كما نرىٰ- من «**عابد**» إلىٰ «**سائح**»، لا يمارس الحج روحيًا بل «**يتفرج**» علىٰ الشعيرة، ويملأ الفراغات ببرنامج سياحي خاطف!

❊ فقه ما وراء المناسك:

علىٰ جانب آخر، مطلوب الوعي بقضية الانتماء للأمة الإسلامية، والعمل علىٰ تربية أبنائنا علىٰ هذا الانتماء، علمًا بأن قضية المسجد الأقصىٰ والقدس خير مثال علىٰ عدم وعي بعض المسلمين بهذا الانتماء للأمة، فمن الذي لا يستطيع الدعاء للمجاهدين في فلسطين، ودعمهم بالمال، وخلاف ذلك من التوعية الثقافية والسياسية اللازمة لمواجهة العنصرية التوسعية للعربدة الصهيونية؟

وبديهي أن العلمانية كسيحة ومنعدمة الشعبية في بلادنا لكن التركيز الغربىٰ علىٰ التصدي بشتىٰ الوسائل الظالمة للمد الإسلامي الماثل في الغرب قبل الشرق، مع ضعف المسلمين كأمة ودول ومجتمعات، الأمر الذي يدعونا جميعًا إلىٰ تحمل مسئولياتنا الفردية والجماعية الإسلامية الجامعة في التصدي للعلمانية في كل المجالات.

والأمر هكذا؛ لكي تؤتي هذه شعيرة الحج ثمارها وأهدافها المرجوة، يجب علىٰ كل مسلم أن يستعد لها مبكرًا، وأن يهيئ نفسه لها كل التهيئة. وليكن ذلك من خلال تعلم مناسك الحج، وأحكامه الفقهية، وأسراره الماتعة، وفوائده الجمة، ومعالمه المُحكمة، فضلًا عن إتقان فقه الآثار المعنوية للحج.

فالحاج يجب عليه ألا يغفل عن فقه ما وراء المناسك، وأنه إن لم يتقن هذا الفقه فلا يمكن لهذه الشعيرة أن تؤتي أُكلها، ولا أن تحقق أهدافها المرجوة، كما لا يمكن أن تحدث الرحلة مردودها أو الأثر المرجو منها في نفوس الحجيج.

فعلىٰ الحاج أو المعتمر- إذن- أن يعلم أنه ليس له من عبادته إلا ما عقل منها ووعىٰ، وكان قلبه فيها حاضرًا مستشعرًا المعنىٰ والمغزىٰ من كل منسك أو شعيرة في تلكم الرحلة بدءًا من مجرد التفكير فيها حتىٰ ما بعد العودة منها.

ومـن هنـا تـأتي هـذه المحاولـة للتـذكير بفقـه مـا وراء مناسـك الحج، ومحاولة التذكير بنيات عدة يمكـن للحـاج المخلـص أن يستـشعرها في تلـك الرحلـة، علـىٰ أسـاس أن المقـصود في هـذا الكتـاب تأكيـد أن الحـج، وكـل أركـان الإسـلام، وسـائل دنيويـة لتفعيل الحياة، وتحقيق النهضة بإعمار الأرض، بجانب أنها هدف أخروي عقائدي.

وانظر إلـىٰ الـسلف الـصالح- رضي الله عنهم- كيـف كـان سـلوكهم في الحج، كانوا يتصدقون بأبدانهم علي المسلمين، بمعنىٰ التجاوز عن أي فعل يتم تجاه أبدانهم في الحج، مثل ما يحدث من التدافع أو التزاحم، وغيرهما.

تلك لفتة فكرية عميقة، تؤدي إلـىٰ تفعيـل روح الانتمـاء للأمـة الإسلامية، وأيضًا الكينونة الإنسانية، مـن خـلال التعـاون في شتىٰ مجالات الحياة، مع التحلي بـروح التسامح، والاستيعاب. قـال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٢﴾[1].

*** الطواف:**

سـل نفـسك- ابتـداءً-: كيـف كانـت حالـة خـشوع الملائكـة،

(1) سورة المائدة :2 .

وخضوعهم لله تبارك وتعالىٰ؟ ومن ثم: طفْ مثلهم، وبمثل خشوعهم وذلهم تذلل واخشع لله عز وجل. فقد جاء في الحديث: « **مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم** »(1).

أما النظر إلىٰ الكعبة في أثناء الطواف، واستلامها، ومحاولة الوصول إلىٰ الحجر الأسود- إن أمكن- دون مزاحمة ثم تقبيله، إن ذلك كله ليس هدفًا في حد ذاته، من أجل إتمام شعيرة الحج، والفوز بثواب الآخرة فقط، بل أيضًا وسيلة لـ «**التأدب**» مع الإنسان، والحيوان، والنبات، وحتىٰ التأدب مع الكعبة، وهي جماد!.

ويعني التأدب الحضاري الإسلامي هنا إعطاء كل ذي حق من الأشياء والكائنات والإنسان حقه، وفقًا لطبيعة الأمور، ومنطق الحياة.

لذا حاول أن تكون ملائكيّ الطبع في طوافك، وحجك، وبعد الانتهاء منه، أو في عُمرتك وبعدها، وعند العودة إلي بلدك، احرص علىٰ التحلي بهذا الخلق الكريم «**الملائكية والوداعة**» في شئون حياتك كافة، وتذكر أن نطاق «**التحضُّر**»، الذي عُدتَ به من الحج، يجب أن يشمل حياتك كلها، وإلا أضعتَ ثمرة هذا الركن

(1) صحيح : أخرجه أبو داود (4/ 44) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في « إرواء الغليل » (5/ 109 رقم 1269)

العظيم، والجهد الجليل، والوقوف العظيم.

وتعلم، وأنت تطوف حول الكعبة المعظمة، أنك تطوف بها رمزًا، لا تعبدًا لها، وبالتالي لابد من أن تطوف في حياتك حول الأمور العظيمة، كصاحب رسالة لنهضة البشرية، ولا تجعل طوافك بمحطات حياتك حول الأمور السطحية التافهة أو الشهوانية.

واستحضر، وأنت تطوف في الأشواط الثلاثة الأولىٰ نية إظهار قوة المسلمين، خاصة أنك تنفذ ما يسمىٰ بـ «**الرمل والاضطباع**»، وهو إخراج الكتف الأيمن خارج رداء الإحرام، علىٰ أن تبدأ الطواف علىٰ هيئة الجري البطيء، وهو الرمل، باعتباره سنة عن النبي ﷺ، للرجال فقط.

لقد كانت مناسبة هذا النُسُك عندما دخل النبي ﷺ إلىٰ مكة ليؤدي العمرة، وكان أهل مكة- علىٰ كفرهم- ينظرون إليه، ويقولون: «**إن محمدا وأصحابه أصابتهم حمىٰ شديدة**»، فقال ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ امْرَئ أَرَاهُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً**»[1].

فبدأ الصحابة رضي الله عنهم في إظهار أكتافهم اليمنىٰ، وطافوا علىٰ هذه

(1) ضعيف: أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (2/ 371)، وابن جرير الطبري في «تاريخ الرسل» (3/ 24)، وضعفه الألباني في تخريج أحاديث «فقه السيرة للغزالي» (صـ 279 هامش 1).

الهيئة، وفعلوا مثلما فعل النبي ﷺ، في ثلاثة أشواط فقط.

وعندما توجه النبي ﷺ لفتح مكة، أتىٰ البيت ليطوف به ففعل ما فعله في عمرة القضاء، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِنَّمَا صَنَعَهَا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ لِلَّذِي بَلَغَهُ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ فَلَزِمَهَا فمضت السّنة بها[1].

*** استلام الحجر وشرب زمزم :**

ثم استحضر وأنت تستلم الحجر الأسود، معنىٰ المعاهدة لرب العالمين، في هذا الموقف، فعاهد ربك علىٰ التوبة، والأَوبة إليه، وقل في نفسك: « **يا رب تبت وندمت، ولن أعود إلىٰ الذنوب مرة أخرىٰ**».

أيضًا عاهد الله مخلصًا بالدعاء: « **يا رب، خلعت قلبي من كل معصية وشهوة، وإصرار علىٰ أي ذنب، ومن كل فتنة تملكت قلبي قبل أن أخرج للحج أو للعمرة**». واصدق الله تعالىٰ يصدقك.

أما وأنت تشرب ماء زمزم، فتذكر أنه ليس كغيره من الماء، فقد خصه الله تعالىٰ بخير كثير، وتذكر السيدة هاجر أم إسماعيل

---

(1) انظر : « السيرة النبوية » لابن هشام (2/ 371).

عليه السلام، وكم قاست من الظمأ قبل ظهور بئر زمزم، وبالتالي يجب علينا أن نروض أنفسنا علىٰ تحمل المشاق في سبيل الله تعالىٰ بجميع ميادين الجهاد، والعمل لنصرة دينه عز وجل.

واعلم أيضًا أنه بعد الشدة يأتي الفرج، وأن الليل مهما طال لا بد له من بزوغ الفجر. وثق بربك القائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾.(1)

وثق أيضًا أنه من سنن الله تعالىٰ في الكون أنه بعد كل عُسر يُسر، بشرط أن تقوم بدورك أولًا، وهو استفراغ الحد الأقصىٰ الدنيوي من السعي والجهد في مجالات حياتك كافةً، ثم اترك النتيجة علىٰ المولىٰ سبحانه، فهذا هو المقصود بالتوكل علىٰ الله، في الآية الكريمة، مع عدم التواكل.

*** السعي:**

يمثل هدفًا وجزءًا من الحج، ووسيلة لتفعيل الحياة لإعمار الأرض، باستفراغ الحد الأقصىٰ من العلم والعمل الدنيوي كفريضة شرعية في كل مجالات الحياة، كل في تخصصه، وفقًا لأحدث ما وصل إليه العصر.

---

(1) سورة الطلاق: 2– 3.

وبهذا، فللسعي في الحج إطار ومسار محدد، ليس عشوائيًا، وذلك في إشارة للسعي الحضاري في الحياة، مثل سبل الكسب والإنفاق، إذ لهذه السبل ضوابط شرعية، وتؤسس لمبدأ «**الغاية لا تبرر الوسيلة**».[1]

تذكر وأنت تسعي بين الصفا والمروة، أن السعي في كل مجالات الحياة عبادة، وأنه ليس - هو - مجرد السير في هذه الأشواط، حتىٰ وإن شعر صاحَبها بالتعب والمشقة.

وفي هذا المقام تذكر ثانية السيدة هاجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكيف سعت بين الصفا والمروة بحثًا عن الماء لوليدها الذي أشرف علىٰ الهلاك.

فما أجدرنا أن نتحمل المشاق والسفر والجهاد في سبيل الله، وفي سبيل دعوته، ثم في سبيل تحقيق التقدم والنهضة للأمة الإسلامية، وإعمار الأرض لصالح الإنسانية جمعاء، وليكن ذلك تعبدًا لله، وتقربًا إليه، وتزكية عن صحتنا، وشغلًا لأبداننا بطاعته عز وجل.

*** رمي الجمرات :**

تذكر، وأنت ترمي الجمرات أنه رمز يهدف إلي تحقيق معنىٰ

---

(1) انظر : تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية (3/ 23).

الانقياد للأمر الإلهي، وتحقيق العبودية بالامتثال لله تعالىٰ، حتىٰ ولو لم يكن للعقل حظ في هذا الفعل.

وتذكر أيضًا تعرض إبليس لسيدنا إبراهيم عليه السلام كي يثنيه عن طاعة أمر الله، وعدم استجابة الخليل لهذه الوسوسة الشيطانية، ومن ثم استحضر، وأنت ترمي كل جمرة، خطورة نزغات الشيطان، ووسوسته، وضرورة مقاومته.

استحضر كذلك، وأنت ترمي الجمرات، أن هذا الرمي بمثابة بيعة وإعلان ومعاهدة منك أمام الله، ثم أمام الخلائق المحتشدة حول الجمرات، علىٰ العمل الدائب والدؤوب لكي يتم دحر هذا الشيطان الرجيم وحزبه اليوم وغدًا وفي كل حين، في منىٰ ومكة وكل بقعة تطؤها قدماك.

واستحضر أيضًا أن المسلم دائم التعرض لوساوس الشيطان، فعليك برجمه بجمرات اللسان بالاستعاذة بالله تعالىٰ من الشيطان ثلاثًا؛ لتحمىٰ نفسك من المعاصي والخطايا.

*** الهدي والحلق والتقصير:**

عند ذبح الهدىٰ، وتوزيعه علىٰ المحتاجين من المسلمين، تذكر أن ذلك قُربىٰ إلىٰ الله ومرضاة له سبحانه؛ رجاء أن يعتقك من النار.

وتذكر معنىٰ العطف علىٰ الفقراء والمساكين وإطعامهم من أفضل الهدي، وتذكر فقراء المسلمين في بقاع الأرض، وتذكر إخوانك المسلمين المُضيق عليهم شعوبًا وأفرادًا وجماعات، وادع الله أن يفرج كربهم، وأن يبدل حالهم إلي أفضل حال.

أما عند الحلق أو التقصير فاستحضر الذلة والانكسار بين يدي الله، وأنه بكل شعرة لابد أن تعقد لله عهدًا وولاءً بالعبودية والانقياد له، واعلم أنك طأطأت الرأس لتحلق شعرك معلنًا أنك راضٍ بفعل كل شيء يُرضي الله عز وجل، وأنك أسلمت الناصية لمن بيده أمرها.

فعاهد ربك فور الانتهاء من الحلق أو التقصير علىٰ فعل كل ما يرضيه عز وجل، وأنت راض قانع سعيد مستبشر، حتىٰ ولو كان في الأمر مشقة علىٰ نفسك.

*** تكرار أداء فريضة الحج:**

فرض المولىٰ سبحانه ركن الحج مرة واحدة فقط « لمن استطاع إليه سبيلا »، وبالتالي وبوجه عام لا يوجد أي سبب موضوعي إسلامي يستدعي انتشار الإصرار علىٰ تكرار أداء الحج.

فالواجب التركيز علىٰ فقه الأولويات الذي يعتبر من أهم الأسس اللازمة لتطبيق منهج الإسلام. **فمثلًا:**

أولًا: الجانب المالي:

الأولىٰ توجيه قيمة التكلفة المالية لتكرار أداء الحج، لدعم ومساعدة المسلمين المستحقين وفقًا للفقه الإسلامي، أو الجهاد في سبيل الله بما يشمل مجالات لا حصر لها.

وللأغنياء نقول تحديدًا، إذا انتهيت بالفعل من إخراج زكاة المال، فمازال يوجد من حولك من يستحق المساعدة.

ومن مجالات الجهاد في سبيل الله ما يستوجب المشاركة، بحيث تتحول الصدقات إلىٰ فريضة علىٰ الأغنياء تستدعي بلا شك، إعطاءها الأولوية قبل تكرار الحج حيث أن المال في الإسلام هو مال الله ونحن مستخلفون ممتحنون فيه. ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[1]

ثانيا: الجانب العملي التطبيقي:

زيادة أعداد المسلمين بجميع أنحاء العالم أمر ملحوظ ومعلوم استمراره مستقبلًا، والازدحام أثناء أداء الحج يستهلك ويزيد علىٰ أي إمكانات توجه لمحاولة استيعاب هذا الازدحام المتزايد، فالأولىٰ– بداهة– علىٰ من أدىٰ الفريضة أن يترك

(1) سورة الحديد: ٧.

الفرصة للآخرين لأدائها علىٰ أكمل وجه.

ثالثًا: الخلاصة:

وبالتالي إذا كنت أيها المسلم الغني تقوم بتكرار أداء الحج بهدف المزيد من الأجر والثواب، فعليك اتباع فقه الأولويات الإسلامي ولك في النهاية الاختيار.

*** وفي الختام:**

حينما يقع بصرك علىٰ مشهد الحجيج ابتهج بمشهدهم المهيب.. وادع الله تعالىٰ من سويداء قلبك أن يوحد هذه الجموع علىٰ يد قائد رباني يقود الأمة لنشر دعوة « لا إله إلا الله » في ربوع العالمين.

وادع الله أيضًا أن يوحد هذه الجموع لتكون - حقًا - كالجسد الواحد، والبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا، كي تتدارس أهم القضايا التي يعيشها العالم الإسلامي، والأقليات المسلمة، وكيف تواجه مكائد الأعداء، وتبحث ما يهم المسلمين، في حاضرهم، ومستقبلهم.

وافهم الحج علىٰ أنه فرصة لزيادة المعارف، ذلك أن التعارف مقصود في الحج بحد ذاته، وحاول أن تتخلص من كل ما يبعدك عن الله تعالىٰ؛ لتعود بعد الحج، وقد أصبحت مسلمًا صالحًا مصلحًا.

إذ لا يكفي أن يعود الحاج إلىٰ وطنه صالحًا فقط بل لابد من أن يعود صالحًا مصلحًا، يصلح نفسه، ويدل غيره علىٰ الخير.. فيعود، وقد ارتقت معرفته بنفسه، وسَمَت طاعته لربه.

*** والخلاصة أن:**

الحج هو أكبر مؤتمر حضاري تاريخي، بلا مثيل عالمي، سابق أو لاحق. ونحن كمسلمين أول من يتوحد ويتجمع بأقوىٰ من كل الأمم والثقافات الأخرىٰ، في شعائر العبادات، إذ نتوحد ونتجمع في الحج بلا مثيل، وفي صلاة الجمعة، وفي صلاة الجماعة، بلا مثيل أيضًا، بل نتجمع في توقيت الإمساك عن الطعام والإفطار، جميعًا في أثناء رمضان، في وقت واحد كذلك بلا مثيل.

فلماذا لا نتجمع، ونتوحد - بالمثل- في شرائع العبادات بمجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها؟

ولماذا أصبحنا أضعف وآخر الأمم في التجمع والتوحد في مجالات الحياة الفعلية المذكورة ؟

لا يمكن أن يحدث هذا الضعف والتأخر إلا بقصور في الفكر والتطبيق!

إن العالم كله من حولنا يتجمع ويتوحد لتحقيق مصالحه المشتركة، كالاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة الأمريكية،

وغيرهما، كلهم يتوحدون لاستهداف تحقيق القوة المادية الحضارية العلمانية، دون أن يجمعهم: لا عقيدة، ولا لغة، ولا ثقافة واحدة.

أما نحن المسلمين، أو -علىٰ الأقل- العرب المسلمين، فيجمعنا الإسلام كدين وهوية، وتجمعنا اللغة العربية، وكذلك تجمعنا الثقافة والعادات والتقاليد المشتركة، فالأحرىٰ بنا أن نتجمع، وأن نتوحد في الشرائع، كما نتوحد في الشعائر، تلك بديهة إسلامية.

❁ ❁ ❁

خاتمة ومدخل

إنها خاتمة لهذا الكتاب وفى الوقت ذاته مدخل لمشروع نهضة الإنسانية.

-**أولا: الرسالة:** مشاركة فى إعادة وضع الإسلام فى موقعه الاستراتيجى، بحيث يصبح منطقا وفكرا ورؤية، كدين للفرد وحضارة للأسرة و المجتمع والدولة والأمة والعالم، منهجا لاستيعاب وتوجيه وإدارة شتى مجالات الحياة دون أدنى تفرقة أو ظلم لأصحاب العقائد والمذاهب المختلفة، ، مما يؤكد «**الوصل لا الفصل بين الدنيا والآخرة**» .

حيث إن هناك مساواة مطلقة أمام الفكر الإسلامى ومشروعه الحضارى، بين الجميع مسلمين ومسيحيين ويهود ولا دينيين وغيرهم.

- فالإسلام ليس مقابلا للدنيا كما هو الادعاء فى بعض الأوساط الثقافية والإعلامية، بل الآخرة هى المقابل للدنيا، ورسالة الإسلام هى الجمع بين الدنيا والآخرة وكل المتقابلات الأخرى (**المتناقضة فى المناهج الأخرى مثل العلمانية**) وذلك عن طريق استراتيجية «**الثنائية**» كما أوضحنا بالركن الأول «**الشهادتان**».

- وبالتـالى وبالـضرورة، يقـدم الإسـلام وحـده نموذجـا فريـدا دون غيره، ليكون للمسلم دينا وهوية، ولغير المسلم هوية، مع حقه أن يظل محتفظا بعقيدته بحرية تامة، بل يوفر الإسلام له المناخ المناسب ليظل يمارس عقيدته فى حرية وأمان، وذلك حين تختار الشعوب الهوية الإسلامية، ولذلك وجب علينا أن نكرر أن الإسلام وحده استطاع أن يقدم النموذج الحى والعملى للجمع بين المتقابلات مثل التيارين «**الدينى والمدنى**» وهى قضية بالغة الخطورة تم إسقاطها(**بعكس ذلك بحيث تدمر مقدرات المجتمع**) على واقعنا بالتضاد بين التيارين، وهو مايحدث ببلادنا منذ بداية الغزو الثقافى العلمانى، وهو ما سنفصله فى كتاب لاحق إن شاء الله.

- **ثانيًا**: **الوظيفة**: أما عن وظيفة هذا الكتاب، فماأماهى التركيز التطبيقى الدنيوى للإسلام عموما، ولأركانه خصوصا فى شتى مجالات الحياة، وذلك من خلال تحمل المسئولية الفردية والجماعية الحضارية، كواجب شرعى، وفقا للآية الكريمة ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [1]، فالآية تفرض وتوجب ضرورة استثمار النعم الإلهية

(1) سورة القصص : 77.

الممنوحة للمسلم فى إطار إمكانات مادية أو فكرية أو تنظيمية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية وخلافه فى اتجاه الآخرة، وذلك بتفعيل النشاطين: المهنى والتطوعى، الخاص والعام، فى شتى المجالات بهدف الإصلاح والتغيير والتنمية لتحقيق النهضة، وفقا للتكليف الحضارى القرآنى بالاستخلاف وإعمار الارض، وكلما زادت النعم الإلهية زادت المسئولية الحضارية أمام المولى سبحانه ثم أمام الوطن والأمة، أما عكس ذلك فهو يعنى بالضرورة، وفقا للآية، الفساد فى الأرض.

– نستخلص من ذلك أنه إذا تحققت القناعة للقارئ الكريم بهذا الكتاب، فالواجب شرعا تحويل هذه القناعة إلى واقع عملى وقدوة فعلية للآخرين، ودليلى على ذلك هو الآية الكريمة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾[1]، فالآية تؤكد أنه لا وسط بين الإفساد والإصلاح، بمعنى إما هذا أو ذاك، وبالتالى فالسلبية المتعمدة لابد أن تعتبر إفسادا، ولذلك القرآن يؤكد على قضية «**الإيجابية**» فليس المقصود الفاسد فقط بل المفسد وليس المقصود الصالح فقط بل المصلح، لكننا نلاحظ أن الغالبية العظمى من الفاسدين تتحول إلى مفسدين، والعكس غير صحيح فأغلبية الصالحين لا يتحولون إلى مصلحين، وهو الواقع الذى لابد حتما من تغييره

(1) سورة البقرة : 22 .

حتىٰ نحقق ما نصبو إليه، أيها القارئ المسؤول.. هذا هو دورنا جميعا «**كفريضة شرعية وضرورة دنيوية**».

- **ثالثًا: موقع هذا الكتاب**: يمثل كما، أتصور مع زملائىٰ، نقطة الانطلاق وخطوة البداية لمشروع يؤسس لبنية تحتية فكرية نهضوية تستوعب وتشارك فىٰ توجيه العرب والمسلمين والجميع، وذلك من خلال خطوات متكاملة متراكمة تصب فىٰ اتجاه واحد.

- مما يستلزم تصحيح وتأكيد كثير من المفاهيم والخلفيات الجذرية التىٰ تبدو فىٰ واقعنا الحالىٰ بديهية، ولكنها مصادمة للإسلام وللمنطق، ولذلك ستكون الخطوة القادمة إن شاء الله كتابنا..

«الثورة الإسلامية علىٰ البديهيات السياسية والعلمانية»

والحمد لله

حسن الحيوان

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل

(تم الكتاب بفضل الله ورحمته في :

شعبان 1434هـ - يوليو 2013م)

❀ ❀ ❀

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، 1408 هـ - 1988 م.

- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي لنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ 1424هـ - 2003م .

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985م

- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف بمصر.

- تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية، وليد بن راشد السعيدان، اعتنىٰ به: سالم بن ناصر القريني، راجعه وعلق عليه: د/ سلمان بن فهد العودة .(نسخة بالمكتبة الشاملة).

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولىٰ.

- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

- سنن الترمذي تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي– بيروت سنة النشر: 1998 م .

- السنن الصغرىٰ للبيهقي تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان ، الطبعة: الأولىٰ، 1410هـ – 1989م ،

- السنن الكبرىٰ للبيهقي تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنات، ط3 ، 1424 هـ – 2003 م

- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1375هـ – 1955 م.

- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولىٰ، 1422هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين

الألباني، المكتب الإسلامي ط3 ، 1408هـ - 1988م.

- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت .

- ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف– الرياض، ط1 1421هـ - 2000م .

- الفتاوىٰ الإسلامية من دار الإفتاء المصرية، مجموعة من العلماء، طبعة المجلس الأعلىٰ لشئون الإسلامية ، 1400هـ - 1980م.

- فقه السيرة للغزالي، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الشروق.

- القواعد والفوائد الأصولية لأبي الحسن ابن اللحام، تحقيق وتصحيح: محمد حامد الفقي، ط السنة المحمدية ، 1375 هـ - 1956 م

- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1421 هـ - 2001 م

- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985

- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة

الرشد– الرياض، الطبعة: الأولىٰ، 1409.

- المقاصد الحسنة للسخاوي تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتـاب العربـي– بيـروت، الطبعـة: الأولـىٰ، 1405 هـ – 1985م.

❀ ❀ ❀

الفهـــرس

❁ ❁ ❁